موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

التطهيرات

نطوّر النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية
من العصر الرسولي حتى العصر الحديث

www.coptology.com

Coptology
Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

التطهيرات

تطوُّر النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية
من العصر الرسولي حتى العصر الحديث

د. جورج حبيب بباوي

٢٠٠٧

www.coptology.org

اسم الكتاب : التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية
النـاشـر : د. جورج حبيب بباوي
المـؤلف : د. جورج حبيب بباوي
رقم الإيـداع : ٢٠١٣/٣٣٨٩
المطبـعة : جي سي سنتر
١٤ ش محمود حافظ ميدان سفير ٢٦٣٣٨١٣٧

المحتويات

مقدمة .....

الفصل الأول ٨
تطوُّر النظرة إلى طهارة الجسد في العهد القديم والجديد

الفصل الثاني ١٧
حركة التهوُّد داخل الكنيسة المسيحية كما نراها
في كتابات آباء القرون الأولى

الفصل الثالث ٢٣
النظرة المسيحية القديمة للناموس الموسوي

الفصل الرابع ٣١
القوانين المقبولة في الكنيسة الجامعة حتى القرن الخامس

الفصل الخامس ٥١
السِّجود وعبادة الله بالروح والحق

الفصل السادس ٥٩
القوى التي تُحرِّك الجَدَلَ حول التطهيرات

الفصل السابع ٨٧
القاعدة الخاصة بالولادة

مقدمة

رغم أن هذه الدراسة سبق لها أن نُشِرت ضمن أعمال مؤتمر المرأة في اللاهوت الكنسي الذي عقده مجلس كنائس الشرق الأوسط في بيروت في ٢٥ يناير ١٩٨٠، ورغم مرور ما يزيد على ثلاثين عاماً على هذا النشر، إلَّا أن موضوع هذه الدراسة لا يزال ملحَّاً ومطلوباً، وكأن ماء النهر لم تتغيَّر طوال هذه السنوات، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها ازدادت تعكيراً، وهو ما يدعونا إلى إعادة نشرها مرةً أخرى.

لا يصح على الإطلاق أن نتحدث عن تطهيرات جسدية بعد تجسد ابن الله واتخاذه جسدنا، وبعد أن مجَّد هذا الجسد بحلول اللاهوت فيه، بل بعد أن صار هذا الجسد هيكلاً للروح القدس، تقدَّم فيه العبادة لله، وهو ما أكَّد عليه القديس أثناسيوس في أكثر من موضع، ففي مقالته الأولى ضد أريوس يقول: «... الاله الحقيقى وحده هو الذى يُعبَد باسم ربنا يسوع المسيح. أمَّا عبادة الرب الذى صار فى الجسد البشري، ودعي يسوع، والإيمان به كابن الله، والتعرف على الآب بواسطته، فهو أمر جلي، كما قلنا، إن اللوغوس ليس بسبب كونه لوغوس هو الذى حصل على مثل هذه النعمة، بل نحن. لأنه بسبب علاقتنا بجسده، فقد صرنا نحن أيضاً هيكل الله، وتبعاً لذلك قد جعلنا أبناء الله. وذلك حتى يُعبَد الرب فينا أيضاً. والذين يبصروننا يعلنون — كما قال الرسول – «إن الله بالحقيقة فيكم» (١ كو ١٤: ٢٥)» (ضد أريوس ١: ٤٣).

وفي المقالة الثانية ضد أريوس يقول: «إذن فقد كَمُلَ فيه الجنس البشرى، وأُعيد تأسيسه كما كان فى البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول ....

وهذا لأن نفس كلمة الله الذاتي الذي من الآب، قد لبس الجسد وصار إنساناً» (ضد أريوس ٢: ٦٧).

فهل بعد ذلك يجوز لنا أن نتكلم عن دنسٍ واغتسالات؟!!

لا شك أن العودة للناموس والقبول بقوانين – تتناقض تماماً مع الأمانة المسيحية – تفرض الاغتسال بالماء، أو تفترض القيام بطقوس معينة لنوال التطهير، ينفي اغتسال المعمودية ومسحة الميرون والشركة في الإفخارستيا جسد الرب ودمه.

إن مسألة التطهيرات الجسدية في العهد الجديد تضع إيماننا بابن الله المتجسد على المحك، ولذلك رأينا أن نضع تحت بصر القارئ الأصول التي نبتت منها هذه العودة وتلك القوانين، علنًا نصحح خطأً، بل خطيئةً تقودنا إلى التهود وإنكار الإيمان.

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٣

الفصل الأول

تطوُّر النظرة إلى طهارة الجسد في العهد القديم والجديد

نستطيع أنْ نقول بكل يقين وثقة إنَّ التشريعات الخاصة بالتطهيرات معروفةٌ في سفري اللاويين والتثنية، وإنَّ سفر الخليقة، أي سفر التكوين لا يقدِّم أي تشريعات خاصة بطهارة الجسد، وإنما يعلن ليس فقط جمال الخليقة، بل يعلن أيضاً عن المسرَّة الإلهية التي رافقت الخليقة، فقد «رأى الله أن كل شيء جميل جداً»، وهي العبارة التي تتكرر منذ اليوم الثاني (تكوين ١: ١٠).

ومع أنَّ سفر التكوين هو الذي سجَّل خجل الإنسان من جسده (تك ٣: ٧)، إلَّا أنه لم يقدِّم أية تفاسير أحاطت هذا الخجل بدنس لَحِقَ الجسد، كما أنه لا يعلِّم بأنَّ الجسدَ هو مصدر الشر، ذلك أننا يجب أن نتذكر دائماً الفرق الأساسي بين خلق الإنسان في سفر التكوين، وسقوط الإنسان عند أفلاطون؛ لأن هذا الفرق الأساسي يحدد نظرتنا إلى الجسد بشكلٍ واضح، فالله خلق الإنسان جسداً ثم وهبه نسمة الحياة (تكوين ٢: ٧)، بينما في الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة، الإنسانُ مخلوقٌ في العالم الروحي روحاً، ثم سقط وحُبِسَ في الجسد عقاباً له على ما اقترفه من آثام.

وهكذا حدد أفلاطون بشكلٍ واضح – في الحوار فيدروس *Phaedrus* والحوار *Menon*، ثم في الكتاب الأخير من الكتب العشرة بعنوان «الجمهورية» – أنَّ مأساة العقل البشري هي في السجن الذي يعانيه، أي الجسد، والذي يجعله

محبوساً بعيداً عن عالم المُثل[١].

هذا الفرق الهام يدعونا إلى التمييز بين دنس الجسد بسبب سقوط الإنسان، ودنس الجسد في الفلسفة اليونانية[٢].

وهكذا نرى بكل وضوح، أنَّ العهد القديم لم يكن هو وحده الذي يدعو إلى الاعتقاد بعدم طهارة الجسد، بل أيضاً الفلسفة اليونانية، والديانات الوثنية. ولذلك نجد أنَّ شروطاً للطهارة الجسدية كانت قد وُضِعَتْ كأساسٍ للدخول إلى المعابد وتلاوة الصلوات.

فقد كان الإنسان القديم – قبل ظهور الله الكلمة في الجسد – يعتقد بأن هناك قوى روحية غامضة وراء العلاقات الجنسية والولادة والإفرازات الجسدية. ويمكننا – في حقيقة الأمر – أن نلخِّص الآراء الحديثة التي درست هذه الظواهر في العالم القديم كما يلي:

أ– خوف الإنسان الغامض من الإفرازات وشعوره بأنه يفقد طاقة حياة، ولذلك يحتاج إلى تطهير وذبيحة حتى يستطيع أن يعود إلى الله مصدر الحياة. ويدافع عن هذا الرأي علماء الكنيسة الكاثوليكية الذين نشروا الترجمة المعروفة باسم الكتاب المقدس الأورشليمي[٣] وقد دافع الأب *Ronald de Vaux* عن هذا الرأي في كتابه المشهور *Ancient Israel*[٤].

ب– بينما يعتقد *Johs Pederson* أن اللعنةَ والدنس بمعنى واحد، وأن القوانين الخاصة بالنجاسة والطهارة مصدرها الأساسي اللعنة الأولى[٥] وأن

---

(١) أنظر:
J. Burnet "Greek Philosophy Part I From Thales to Plato 1914. G.C. Field "The Philosphy of Plato, 1949 W.KC. Guthrie "The Greek Philosopehrs .From Thales to Aristitle" 1950

(٢) راجع العرض التاريخي تحت كلمة Καθαρδς في المجلد الثالث من موسوعة G. Kittel ص 415.

(٣) أنظر: The Jerusalem Bible, Note 12, a on chop 12 of Leviticus 12: 1-8, P145.

(٤) أنظر: Vol 2 P460

(٥) أنظر: Israel, Its Life and Culture Vol 2 2 p493

الموضوع برُمَّته هو الخطيئة والموت الذي دنَّس كل شيء.

ج– وهناك رأيٌ أخير يقول بأنَّ التشريعات الخاصة بالطهارة والنجاسة قد وُضِعَتْ لمحاولة الحد من اتصال إسرائيل بالديانات الكنعانية القديمة، التي كانت تقدِّس العلاقات الجنسية وتعتبرها جزءاً من الطقوس الأساسية في العبادة[٦]. وإنْ كان يعيب هذا الرأي عدم وجود تاريخ ثابت ونصوص واضحة؛ لأن تاريخ العقائد الكنعانية غير كامل وغير مضبوط، ولذلك يستحيل إجراء مقارنة دقيقة.

على أية حال، كانت هذه هي النظرة التي واجهتها الكنيسة عندما بدأ الإنجيل يُنشر بين اليهود والأمم على حَدٍّ سواء.

وقد سجَّل العهد الجديد عدة مواقف واضحة في حياة المسيح تحوَّلت بعد ذلك إلى تعليم عقائدي في رسائل بولس وفي مجمع الرسل (أعمال ١٥)، فقد أنكر المسيحُ تماماً وجود أي دنس في جسد الإنسان، وأن مصدر الدنس ليس الجسد، بل القلب، وليس الأطعمة والإفرازات. وقال بصريح العبارة: «ليس ما يدخل الفم ينجِّس الإنسان» (متى ١٥: ١١ – مرقص ٧: ١٥)، «وإنما ما يخرج من القلب ينجِّس الإنسان» (متى ١٥: ١٨)، وهو الفكر الشرير والخطيئة.

وكما اصطدمت تعاليم المسيح باليهودية وطقوسها، كان حتماً أن يحدث نفس الشيء حتى بعد قيامة الرب بأربعة قرون، مما جعل ذهبي الفم يقول:

> «إنَّ اليهود لم يفهموا أنَّ الخطيئةَ الباقيةَ في القلب هي التي تنجِّس الإنسان، أمَّا المأكولات فهي لا تنجِّس أحداً، ولا غسل اليد، ولا كل التطهيرات تفيد».
>
> ولكن ما هو جدير بالملاحظة حقاً هو العبارات التالية:
>
> «يا ليتنا نتعلم ما هي الأشياء التي تنجِّس الإنسان لكي

(٦) أنظر: New Bible Commentary, edited by F. Davidson, IVF. 1962 p146.

نهرب فعلاً منها. وحتى في الكنيسة نرى مثل هذه العادة المنتشرة عند عامة الشعب، وهم أناسٌ يهتمون جداً بأن يحضروا إلى الكنيسة في ثيابٍ نظيفة، ويغسلون أياديهم، أمَّا كيف يقدِّمون نفوساً نظيفةً إلى الله، فهذا ما لا يهتمون به مطلقاً»[٧] (العظة ٥١ على إنجيل متى ١٥: ١١ — ١٧).

لقد كان من الحتمي أن ينفجر موضوع تطهير الجسد؛ لأنه مرتبط بإلغاء الختان والذبائح والكهنوت اللاوي وشريعة تحريم المأكولات وما إليها، وهو أمرٌ يظهر بوضوح في صفحات سفر الأعمال قبل وبعد مجمع الرسل. لقد كان الموضوع الأصلي في مجمع الرسل ليس شريعة الختان، بل حسب كلام الذين أبلغوا المجمع، أنه ينبغي أن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى (راجع أع ١٥: ٥).

وقد سجَّل الرسول بطرس أنَّ الأُممَ نالوا شهادةً من الله عندما أخذوا الروح القدس مثل التلاميذ (أع ١٥: ٨)، وهم قبلوا الروح دون أن يحفظوا الناموس الموسوي، فقد طهَّر الله بالإيمان قلوبهم (أع ١٥: ٩). وقد أخذ المجمع بعد ذلك بما قرره يعقوب الرسول في نفس المجمع: الامتناع عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم (راجع أع ١٥: ٢٠، ١٥: ٢٩)، وهو تغييرٌ جذري في الناموس الموسوي وليس مجرد تلخيصٍ له.

ولو وضعنا الفصول ١٢ — ١٥ من سفر اللاويين، معَ قرار مجمع الرسل في سفر الأعمال ١٥: ٢٩ لوجدنا أنَّ مجمع الرسل قد أزال تماماً من حياة الكنيسة ما وصفه الرسول بطرس بالنير الذي لم يستطع آباء اليهود ولا الرسل أن يحتملوه (راجع أع ١٥: ١٠).

إن هذه العبارة: «قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق

(٧) أنظر: Homily 51:5, p319

والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمّاً تفعلون» (أع ١٥: ١٨ – ٢٩)، يتضح منها أنه لا يمكن أن تكون وجهة نظر الرُّسُل تتجه نحو التخفيف من أحكام الناموس، بل إزالة الناموس كله.

ومن الضروري أن نقف عند العظة ٣٢ على سفر الأعمال فصل ١٥ لذهبي الفم فهي جديرة بالدراسة، حيث يسجِّل ذهبي الفم أنَّ الفرق بين الرسل واليهود هو في نقطةٍ هامةٍ: «لم يتكلم الرسل عن الختان، وإنما قالوا لا يمكن أن تخلصوا بحفظ الناموس، وبالعكس تماماً كانت وجهة نظر اليهود». ويلاحظ ذهبي الفم أن الموضوع لم يكن يخص ما حدث في إنطاكية، بل كان يخص فينيقيا والسامرة (أعمال ١٥: ٢)، وأن شهادة الرسول بطرس تؤكِّد وجود الأُمم في المجمع الرسولي، هكذا فهم ذهبي الفم عبارة بطرس «اختار الله بيننا» (أع ١٥: ٧).

ويعلِّق ذهبي الفم على شهادة بطرس فيقول:

> «لقد كان بطرس قادراً على أن يعلِّم حتى هؤلاء المتهوِّدين أن الإيمان وحده هو الذي يكفي وليس الأعمال أو الختان، ولم يسجِّل بطرس هذا الدفاع عن الأُمم، وإنما لكي يعلِّم المؤمنين من اليهود أن يتركوا الناموس».

ويكمِّل ذهبي الفم:

> «ماذا يعني بقوله تجرِّبون الله؟ أي كما لو كان الله عاجزاً عن أن يخلِّص الإنسان بالإيمان، وأصبح الله هو المحتاج إلى الناموس. وبعد ذلك يحوِّل بطرس الهجوم على الناموس وليس على اليهود، وبذلك يضع حداً لكل الاتهامات، ثم يقول: ولكننا نؤمن أنه بنعمة ربنا يسوع سوف نخلص مثل الأُمم. وما أقوى هذه الكلمات إنها مثل كلمات بولس التي قالها بتوسُّعٍ في رسالته إلى رومية (٤: ٢)».

وبعد ذلك يؤكد ذهبي الفم:

«إنَّ كلمات الرسول بطرس تعني وحدة الكنيسة بعنصريها اليهودي والأُممي، وكذا يجب أن نفهم معنى الكلمات: «لم يميِّز بيننا وبينهم بشيء»، لقد سجَّل نفس ما ذكره بولس: لا الختان ينفع شيئاً ولا عدم الختان (١ كورنثوس ٧: ١٩)، وإنما لكي يخلق الاثنين اليهود والأمم واحداً في نفسه (أف ٢: ٥)، ولذلك لم يقل بطرس لم يميِّز بين الذين من الختان والذين من اليهود، بل قال لم يميِّز بيننا وبينهم».

وبعد ذلك يعود ذهبي الفم لنفس الموضوع في العظة ٣٣ على نفس الفصل من سفر الأعمال حيث يسجِّل أن القاعدةَ التي وُضِعَت بالنسبة للأمم لم تكن من ناموس موسى، بل الناموس الذي وضعه الرسل أنفسهم؛ لأن الامتناع عن نجاسات الأصنام والزنا هما ما سبق للرسل أن بشَّروا به الأمم، ولكن الآن عليهم أن يحترموا الناموس ليس ذلك الذي من موسى، بل الذي من الرسل. ولكي لا يجعل الوصايا كثيرة قسَّم الوصية الواحدة إلى اثنتين وقال: «ومن المخنوق والدم»، ورغم أن هذه خاصة بالجسد، إلَّا أن عدم مراعاتها يسبب شروراً كثيرةً».

ولكن كيف فهم ذهبي الفم عبارة الرسول يعقوب: «لأن موسى منذ القديم له في كل مدينة من يكرز به إذ يُقرأ في المجامع كل سبت (أع ١٥: ٢١)؟ إن الرسول يحترم موسى، ولكنه يقيمه كسلطة على شعبه، وبذلك يقود يعقوب الأمم بعيداً عنه ... وهكذا انتهى النقاش. ومع أنه يبدو أن يعقوب يحفظ الناموس باعتماده عليه في استخراج القاعدتين السابقتين، فإنه في الواقع قد ألغاه تماماً عندما اخذ منه ما يلزم»[٨].

وتظهر أهمية قرار مجمع الرسل في الدراسات الحديثة بشكل جعل العالم

(٨) المرجع السابق ص 459.

الألماني *Ernst Haenchen* يخصص صفحتين كاملتين[٩] للمراجع الخاصة بقرار الرسل في أعمال ١٥ وهو القرار الذي اعتبره ذهبي الفم الرسالة الواحدة التي كتبها جميع الرسل، ولذلك لا نجد ضرورةً للغوص في الدراسات الحديثة التي تؤكد أن هذا القرار كان نقطة تحول في العلاقة بين الكنيسة ومجمع اليهود، فهذا واضح جداً من صفحات التاريخ الكنسي.

ولكن يهمنا أن نسجِّل أن النص اليوناني – وكما لاحظ كل المفسِّرين المعاصرين – لا يعطي قراءةً دقيقةً خاصةً بالطعام، وإنما يفسِّر الزنا والمخنوق والدم على أنها قضايا أخلاقية خاصة بالزواج والقتل وليس بالطعام[١٠]، ولكن علينا أن نلاحظ أن المصادر القديمة في الشرق تفهم كلمة الدم بالمعنى اليهودي القديم، فقد سجَّل مينوكيوس فيلكس (سنة ١٦١) *Menucius Felix* أن المسيحيين لا يمتنعون عن أكل لحوم الأطفال (اتهام وثني)، بل لا يأكلون دم الحيوانات (٣٦: ٦ – راجع أيضاً تاريخ الكنيسة يوسابيوس القيصري: كتاب ٥: ف ١: ٢٦ – وأيضاً دفاع ترتليان: ٩: ١٣). وهذا بالطبع يعزِّز الفهم الشرقي لقرار الرسل، وإن كانت الكنيسة الغربية لم تتقيد بهذه القراءة وتوسعت في إباحة أكل الدم في عصرٍ مبكرٍ.

على أية حال، لم يكن قرار الرسل هو نهاية الجدل؛ لأن رسائل بولس تؤكد بعد ذلك استمرار الجدل حول الطعام وما هو نجس وما هو غير نجس بشكل واضح جداً في كولوسي (٢: ١٦ – ٢١)، وهو نصٌ يعكس وبكل يقين ما ساد في أوساط المسيحيين من حوار كان يدور حول مسائل خاصة بالناموس.

لقد حاول المفسرون المعاصرون إلقاء المزيد من الضوء على المقطع الأخير من الإصحاح الثاني من الرسالة إلى كولوسي، واعتقد غالبية المعاصرين أن بولس يتكلم عن اليهودية والوثنية معاً، وأن الإشارة إلى الطعام ليست فقط خاصة باليهود في الشتات، بل أيضاً بالعبادة السرية لا سيما الديانة السرية

---

(٩) أنظر The Acts of the Apostles, 1971, p441-2.

(١٠) أنظر: Ernst Haenchen op. cit. p 449 and p 453

على مذهب أبولونيوس[١١] *Apollon* وأياً كانت الاتجاهات السائدة في كولوسي، فإن الرسالة تضع الأفعال الثلاثة الأساسية الخاصة بالشريعة: لا تلمس، ولا تذُق، ولا تستعمل (التي وردت في الترجمات العربية القديمة: ولا تجس، وهو ما يُمَس)، وهذا الجانب الخاص بشريعة التطهير هو ما يضعه الرسول كعائق يمنع الإنسان تماماً من التمتع بالخليقة لا سيما وأن الطعام موضوعٌ لإشباع البشرية وليس لكي يقدِّم الإنسان إلى الله. ويضع الرسول نصاً مأخوذاً أصلاً من (متى ١٥: ٩ — مرقص ٧: ٧)، وهو اقتباسٌ حرفي حيث يستخدم الرسول العبارة الشائعة التي استُخدمت ضد المذهب الفريسي: «تعاليم هي وصايا الناس» (والتي وردت في الترجمة العربية: وصايا وتعاليم الناس)، ولكن النص اليوناني واحد في الأناجيل، وفي كولوسي. ولأن الاقتباس قيل في مناسبة الحوار عن طهارة ونجاسة الإنسان، فمن الواضح أن النظرة العامة للتعليم الرسولي تعود إلى المسيح نفسه، وهي رفض كل هذه الأمور باعتبار أنها وصايا الناس (راجع تيطس ١: ١٤).

ومع أن نص كولوسي ٢: ٢٣ هو أصعب مقاطع الرسالة ككل ويعجز علماءٌ عن ترجمته[١٢] إلَّا أننا نستطيع بثقة أنْ نقول إنَّ الرسول أراد أنْ يحدد الوسيلة الإنسانية التي يستخدمها الإنسان في الوصول إلى الله، بينما بشارة الإنجيل تحدد أنَّ الله هو الذي يريد أن يصل إلى الإنسان، بعكس الوثنية، وهو ما يعبِّر عنه الرسول في أماكن أخرى من رسائله بأن الطعام وطهارة الجسد (رومية ١٤: ٣ — ١٤: ١٧، ١كورنثوس ٨: ٤) لن تقود الإنسان إلى الله.

إذن، فنحن لا نرى الصدام بين المسيحية واليهودية ليس عند الرسول بولس وحده، وإنما في مجمل رسالة العهد الجديد، فقد حلَّت المعمودية محل الختان، وحلَّ التطهير بالروح القدس محل كل الاغتسالات والتطهيرات، و لم يعُد أمام الإنسان إلَّا الالتزام بناموس الحياة في المسيح حيث يقترب الإنسان

(١١) أنظر الدراسة القيمة التي نشرها Eduard Lohse. في السلسلة المعروفة باسم Hermen-ema من ص ١٢٠ – ١٢٥

(١٢) أنظر: Eduard Lohse, op at p 124-131

من الله ليس بواسطة الطعام والشراب وتطهير الجسد، بل بالإيمان بيسوع المسيح. هذا هو موجز الرسالة إلى المتهوِّدين في رومية وغلاطية بشكل خاص، ومع ذلك يمكننا أن نقول إن هذه الرسالة لم تُقبل بسهولة.

الفصل الثاني

حركة التهوُّد داخل الكنيسة المسيحية كما نراها في كتابات آباء القرون الأولى

لا نستطيع أن نشرح هنا بداية وتطور حركة التهوُّد التي أزعجت الكنيسة المسيحية لأنها كانت رفضاً لرسالة الإيمان، ولكن يكفي أن نلقي نظرةً سريعةً على كتابات الآباء في القرون الثلاثة الأولى:

القديس ايريناوس:

يقول ايريناوس عن الأبيونيين *Ebionites* – وهي شيعة مسيحية متهوِّدة –:

«يستعملون إنجيل متى فقط، ويرذلون الرسول بولس باعتباره مرتداً عن الناموس. أمَّا أسفار الأنبياء فهم يشرحونها بكل دقة وغيرة. يمارسون الختان ويحتفلون بكل العادات حسب الناموس ويعيشون الحياة اليهودية، وأورشليم عندهم هي بيت الله» (*Adv Haer* 1: 26:2).

فالعودة إلى حفظ الناموس لم تكن قد ماتت لأن مجمع الرسل قرر إلغاء العوائد الخاصة بالناموس، أو لأن بولس كتب ذلك، وإنما لأنَّ التمسك بالناموس أسهل من النعمة. ولذلك يقول ايريناوس عن الأبيونيين:

«كيف سيخلصون ما لم يكن الله نفسه هو الذي جاء بالخلاص على الأرض؟ وكيف يصل الإنسان إلى الله ما

لم يكن الله هو الذي وصل إلى الإنسان» (نفس المرجع IV:33:4).

وحفظ الناموس معناه رفض التجسُّد، وهذا ما يكتبه ايريناوس بكل وضوح:

«هؤلاء الأبيونيين الذين لم يأخذوا الاتحاد بالله بالإيمان بأنه اتحد بالإنسان. أنهم لا زالوا يعيشون حسب الخمير القديم الذي لا يرى إلَّا الميلاد الطبيعي للإنسان، وهم لا يريدون أن يفهموا أن الروح القدس حَلَّ على العذراء مريم، وأن قوة العلي ظللتها، ولذلك الذي وُلِدَ منها هو قدوس وابن الله العلي، أي أب كل الكائنات الذي أعطانا التجسُّد لكي يؤسِّس ميلاداً جديداً. وكما بالميلاد القديم حسب الطبيعة ورثنا الموت، بهذا الميلاد نرث الحياة ..» (نفس المرجع V:1:3).

ترتليان:

يعرض كل الهرطقات السابقة، ويقول إن القديس بولس كتب رسالته إلى غلاطية لكي يرد هجوم الذين كانوا يحتفظون، بل يدافعون عن الختان والناموس، أي هرطقة أبيون (*De praescript. Haer* 33:11).

هيبوليتوس:

يقول عن الأبيونيين:

إنهم يفضِّلون الاحتفاظ بعادات اليهود» (*Refuta-tion omn Haer. Pro 1.* VII: 7-9).

ويكرر هيبوليتوس نفس الملاحظة في نفس الكتاب، فيقول عن الأبيونيين:

«يؤمنون بأن العالم من خلق الإله الحق، ولكنهم يسقطون في خرافات كورنثوس *Cerinthus* وكاربوكراتس

Carpocrates الخاصة بالمسيح، وهم يعيشون حسب مقتضى العادات اليهودية لأنهم بذلك يتبررون بحفظ الناموس» (نفس المرجع السابق 2-1 :34 :VII).

أوريجينوس:

وهنا نرى بوضوح أن الموضوع ليس الأبيونية فقط، وإنما أيضاً اتجاهات عامة لدى الذين قبلوا المسيح خاصة بالختان والناموس، فيقول:

«إننا لا نفند اليهود حسب الجسد لأنهم يمارسون ختان اللحم، وإنما أيضاً أولئك الذين قبلوا اسم المسيح ولا زالوا يعيشون حسب شريعة ختان اللحم ويقولون إنها يجب أن تُقبل أيضاً، وهم مثل الأبيونيين. ويوجد آخرون يخطئون بسبب فقر فهمهم المشابه لفقر فهم الأبيونيين» (*Hom in Gen* III:5).

لكن يعنينا بشكل خاص عبارة هامة في تفسير متى هي محور الموضوع الذي نحن بصدده، وهي تعليق على (متى ١٥: ١٠)، يقول العلامة أوريجينوس:

«عندما دعا الربُ الجمعَ قال لهم: ''اسمعوا وافهموا ..''، فبكل وضوح قد تعلَّمنا من كلمات المخلِّص أن ما نقرأه في اللاويين والتثنية عن الطعام والطعام النجس الذي يتهمنا اليهود والأبيونيين الذين لا يختلفون عنهم بأننا متعدين للناموس» (XI:12).

وفي شرح العلامة لنفس الإنجيل يحذِّر من حفظ الفصح اليهودي مثل الأبيونيين (*In Math Com GOS XI*. IP 1879).

وفي دفاعه وضد اتهامات كلسوس يؤكِّد العلامة أوريجينوس:

''إننا لا نحفظ ناموس اليهود، وإنما الذين يفعلون ذلك هم اليهود والأبيونيين فقط» (*C. Celsum GCSI P* 127).

ويعود إلى نفس الموضوع في الكتاب الخامس ويقول:

«إن البعض استطاع أن يعلن قبوله ليسوع لكي يكون لهم الفخر بأنهم مسيحيون، إلَّا أن هؤلاء فريقين من الأبيونيين: الفريق الذي يعترف بميلاده من العذراء مثلنا، والفريق الذي ينكر ذلك ويقول إنه ولد مثل باقي الناس" (نفس المرجع ونفس الطبعة مجلد ٢ ص ٦٥).

إن الوقت لا يسمح بعرض كل النصوص عند باقي الآباء لا سيما ابيفانوس وجيروم ويوسابيوس وغيرهم، فهي لا تضيف شيئاً جديداً، ولكن يهمنا أن نشير إلى من دُعُوا بـــ «النصارى»، أو حسب تسمية ابيفانوس في كتابه (Panarion 29:1). لقد عاش أيضاً النصارى Ναζωραιοι الذين لا يمكن تحديد الفترة التاريخية التي ظهروا فيها، ولكنهم كانوا معاصرين للرسل، وهم لم يأخذوا اسم المسيح أو حتى يسوع، بل دعوا أنفسهم بالنصارى Ναζωραιως، ورغم أن كل المسحيين دُعوا قبلاً Ιησσαιονς يسوعيين قبل أن يُدعى التلاميذ في إنطاكية مسيحيين.

ويعود ابيفانوس بعد ذلك ليُميِّز بين النذير المخصص لله الذي يسمى Ναζιραιονς مثل يوحنا المعمدان، والهرطقة التي عُرفت حتى قبل المسيح نفسه. ويمكن إثبات أن المسيحيين دُعُوا ناصريين من قبل؛ لأن بولس اتُّهِمَ بأنه «مقدام شيعة الناصريين» (أعمال ٢٤: ٥). والرسول لم ينكر هذه التهمة، ولكن هؤلاء يأخذون اسمهم من الناصرة، وهم في الحقيقة ظلُّوا يهوداً، وهم لا يأخذون فقط بأسفار العهد الجديد، بل يطبقون أسفار العهد القديم. وكل التشريعات التي وضعها الأنبياء في الكتب التي يقدِّسها اليهود يحفظونها، بل يؤكد ابيفانوس أنهم يعرفون اللغة العبرانية معرفةً تامةً حتى أنهم يقرأون كل أسفار العهد القديم بالعبرانية. وهم يختلفون عن اليهود لأنهم يؤمنون بالمسيح، ويختلفون عن المسيحيين لأنهم يحفظون الناموس والختان والسبت وأمورٍ أخرى» (المرجع السابق ٧: ١).

هذه الخلفية هامة وأساسية لأنها سوف تشرح لنا حقيقة هامة قلما ننتبه

إليها، فقد عاشت الكنيسة في هذه الفترة تحاول أن تشرح أنها تختلف عن حركة التهوُّد في أمر أساسي وهو حفظ الناموس، ليس بعض الناموس، بل كل الناموس، وهذا ما يحتاج لدراسةٍ أوسع.

الفصل الثالث

النظرة المسيحية القديمة للناموس الموسوي

من الضروري أن نلقي نظرةً على الكتابات المسيحية القديمة التي لم تُكتب أصلاً لمقاومة الأبيونية، بل كانت تعبِّر عن النظرة المسيحية إلى شريعة موسى. ولعل أهم هذه الكتابات وأقدمها هو الكتاب المعروف باسم الديداكي، ثم رسالة برنابا، ورسائل أغناطيوس، والرسالة إلى ديوجنيتس، وحوار يوستينوس مع تريفو *Trypho* اليهودي.

هذه الكتابات هي أقدم ما عندنا من وثائق مسيحية، وهي تعبِّر عن اختلاف وجهات النظر بين الكنيسة والمجمع اليهودي، فهي ليست محاولة للدفاع عن المسيحية أمام التيار المتهوِّد، بل الدفاع عن المسيحية أمام اليهودية نفسها.

الديداكي:

ورغم أنها لا تتكلم عن اليهودية بالاسم إلَّا أن الإشارة إلى المنافقين الذين يصومون الاثنين والخميس (٨: ١)، هي إشارة واضحة إلى اليهود الذين يجب الابتعاد عنهم إلى درجة عدم استخدام نفس صلواتهم والاكتفاء بالصلاة الربانية (٨: ٢).

وتقول الديداكي: «احذر أن يضلك أحدٌ عن الطريق، إنه يخرجك عن تعليم الله .. أمَّا الطعام والقواعد الخاصة به، فمارس الصوم قد استطاعتك واحذر اللحوم المُقدَّمة للأوثان؛ لأنها مقدَّمة للآلهة الأموات» (٦: ١ – ٢٢). على هذا النحو الإشارة إلى اليهودية ليست فقط في تجنب أيام الصوم اليهودي

وكذلك الصلاة معهم، بل تجنب التمسُّك بالمجمع الرسولي الذي لم يمنع إلَّا ما هو مقدَّم للآلهة الوثنية.

برنابا:

من الواضح أن الرسالة تُعد قطعةً رائعةً ضد الممارسات اليهودية والناموس، ويستحيل تلخيصها؛ لأنها تحمل بكل وضوح بصمات الجدل المسيحي اليهودي، حيث يقول: «الناموس كُسِرَ منذ تسلَّمه موسى؛ لأنه رمى لوحي العهد لكي يقوم العهد الجديد مع الكنيسة» (٤: ٧ – ٨). «وكذلك الختان الجديد أي ختان القلب قد سبق وأنبأ به الأنبياء (أرميا ٤: ٣)».

وتحدد الرسالة أن الذين يمارسون الختان هم الشعوب الوثنية مثل العرب والمصريين (١١: ٦) وحتى إبراهيم ختَّن ٣١٨ رجلاً وهو مجموع رجال بيته. وتشرح الرسالة الرقم على هذا النحو "العدد ١٨ ذُكِرَ أولاً ثم ذكرت الثلاثمائة. إن العدد ١٨ هو ١٠ أي يوتا I و ٨ أي أيتا H وهذا يعني IH أي يسوع المسيح. أمَّا الثلاثمائة فهي T أي الصليب ويعني النعمة، وبذلك IHT تدل على المسيح مع الصليب (١١ : ٨ – ٩). وهذا يعني أنَّ الختان الجديد هو بالصليب أو المعمودية.

وتفسِّر الرسالةُ بشكلٍ مطوَّل معنى الامتناع عن أطعمة وحيوانات مثل الخنزير والأرنب والضبع، وتلجأ إلى التأويل الرمزي الذي شاع في الإسكندرية أولاً؛ لكي تؤكِّد أنَّ المقصود هو أنْ يتعلم الإنسان من هذه الحيوانات الابتعاد عن الرذائل: «إنَّ موسى بتقبُّله للتعليم الثلاثي عن الغذاء تكلم روحياً، إلَّا أنَّ اليهود أخذوا كلامه حسب رغبتهم الجسدية كما لو كان الطعام هو المقصود» (١٠: ٩).

وتؤكِّد الرسالة بشكلٍ قاطع أنَّ المياه التي تنبَّأ عنها الأنبياء في القديم هي المياه التي تنبُع من الصليب، أي المَعمودية، وهي وحدها التي تُطهِّر الإنسان من كل الأوساخ، فتقول: «هذا يعني أننا إذا نزلنا إلى الماء، والخطايا والأوساخ تملأنا، فإننا نصعد من الماء وفي قلوبنا خوف ورجاء يسوع الذي نملكه في

أرواحنا» (١١: ١٠). إنَّ العهد الجديد قد أخذناه من الرب، وليس من موسى (١٤: ٤)، ولذلك فإن حفظ السبت متوقفٌ على قداستنا نحن؛ لأن هذه القداسة هي وحدها التي تجعل السبت مقدساً (١٥: ٧). وحتى الهيكل «هؤلاء الضالين الأشقياء انحصر رجاؤهم في الهيكل وليس بالله صانعهم» (١٦: ١)، ولكن الهيكل الحقيقي الذي يريده الله هو الإنسان؛ لأنه بناءٌ عظيمٌ يبنى باسم الرب (١٦: ٨). ولذلك إذا تجدَّدنا ونلنا غفران الخطايا «يسكن الرب في داخلنا. وكيف يتم ذلك؟ إن كلمته وهي غرض إيماننا والدعوة التي لها الموعد والحكمة الحقيقية التي تشرح الوصايا والتعاليم ... تفتح لنا باب الهيكل، أي تفتح فمنا بالصلاة نحن الذين كُنَّا تحت حكم الموت، ولكن نلنا مغفرة الخطايا ودخلنا الهيكل الغير الفاسد» (١٦: ٩).

وهكذا تضع رسالة برنابا اليهودية ككل الذبائح (٢: ٤)، والسبت (٢: ٥)، والصوم اليهودي (٣: ١ – ٤)، والناموس (٤: ٦ – ٨)، والمأكولات (١٠: ١ – ١٢)، والهيكل (١٦: ١ – ١٠)، والاغتسالات (١١: ١ – ١٠)، هذه كلها تم اقتلاعها تماماً في العهد الجديد، وأُبطلت وحَلَّ محلها تقديس الإنسان والمعمودية وذبيحة المسيح وناموس الحياة والمحبة.

ولعل قيمة رسالة برنابا هي في أنها ترى النظام اليهودي ككلٍ مترابطٍ، ولا يمكن فصل جزء من الأجزاء أو الاحتفاظ بجانب وترك جانب.

إنَّ رفض الناموس والاغتسالات والذبائح والهيكل هو أساس العهد الجديد في يسوع المسيح، ولعل هذه النظرة المسيحية القديمة – هي بكل يقين – تشرح قدره الآباء الذين حاربوا الأبيونية والتيار المتهوِّد بجملته، فليس التمسك بالختان هو المشكلة، وإنما لأن الختان جزءٌ من كل. والناموس ليس جانباً دون جانب، فلم تكن اليهودية ترضى بأن تأخذ الكنيسة قسماً وتترك قسماً، وإنما إمَّا أنْ تقبل الكل أو ترفض الكل. وقد كان من الواضح أن رفض الكل هو رجاء المسيح الذي يبشِّر به العهد الجديد، وعتقاً للإنسان من نير الاغتسالات والتطهيرات.

أغناطيوس الأنطاكي:

من المؤسف حقاً أن انحصر اهتمام علماء الآباء برسائل أغناطيوس الأنطاكي في الطريقة التي قاوم بها أغناطيوس بدعة الخياليين، وقلَّما انتبه الدارسون إلى النغمة الواضحة ضد المعلمين الكذبة وإلى مقاومة اليهودية. وبشكل خاص تركِّز الرسائل على العهد القديم وعلى تحقيق نبوات الأنبياء، ولكنها تعلن أنَّ كل مَن يأتي باسم آخر غير المسيح ليس من الله (مغنيسيين ١٠: ١). وهذا لا يكفي في حد ذاته، لكن «اطرحوا عنكم الخمير القديم الفاسد وتحوَّلوا إلى خميـــر جديدٍ، هو يسوع المسيح الذي فيه تنالون مِلحاً حتى لا تفسد حياتكم؛ لأنكم من رائحتكم ستعرفون أنه شرٌّ فظيعٌ أن نتعلم عن يسوع المسيح، ثم نمارس اليهودية، فليست المسيحية هي التي آمنت باليهودية، بل اليهودية هي التي آمنت بالمسيحية، وفي المسيحية التأم كل لسان يؤمن بالله» (مغنيسيين ١٠: ٢ – ٣).

هل يمكن أن نرى صورةً أوضح من هذه الصورة، سبقت اليهودية مجيء المسيحية لكي تؤمن بها وتنال بذلك غاية الناموس والأنبياء؟ ولكن ما معنى هذه الكلمات: «إنه شرٌّ فظيعٌ أن نتعلم عن يسوع المسيح ثم نمارس اليهودية»؟ أليس هذا هو نفس موضوع رسالة برنابا؟ ألا تشتمل الإشارة إلى الخمير الجديد أي يسوع المسيح، على الإشارة إلى الحياة الجديدة التي لا تأتي من ممارسات الناموس أو فرائضه، وإنما من يسوع المسيح الحي القائم من بين الأموات؟ وهذا ليس مجرد استنتاج، وإنما هو ما يقرره أغناطيوس في فقرةٍ سابقةٍ حيث يقول: «إنْ كان مَن عاشوا بمقتضى العادات القديمة قد اقبلوا على الرجاء الجديد وتحرروا من شريعة السبت ليعيشوا يوم الرب الذي أشرقت حياتنا فيه (المسيح) وبموته، فلم ينكره بعضهم»، ثم يكمِّل «حتى الأنبياء تتلمذوا له بالروح وانتظروا بره، أمَّا هو حينما جاء، أقامهم من الموت» (مغنيسيين ٩: ٢ – ٣).

لا شكَّ أننا أمام نفس الموضوع، فليس جوهر المشكلة هو حفظ السبت، وإنما

كل ما هو مرتبط بالسبت، ولذلك فالإشارة إلى اليهودية – بشكل مطلق – ليست مجرد اسم، وإنما إلى الكل، أي العادات القديمة (راجع مغنيسيين ٩: ١).

وتكاد الرسالة إلى الفيلادلفيين برمتها تكون قطعةً أخرى تحذِّر من النباتات السامة (الرسالة إلى الفيلادلفيين ٣: ١)، وتؤكِّد على وحدة الأنبياء والرسل (٥: ٢)؛ لأن الأنبياء أنفسهم انتظروا المسيح وبه وحده نالوا الخلاص (٥: ٢). ويضع أغناطيوس حداً لليهودية «إن شرح لكم أحدٌ اليهوديةَ، فلا تسمعوا له، فمن الأفضل أن نسمع مختوناً يكرز بالمسيحية من أن نسمع غير مختونٍ يبشِّر باليهودية» (٦: ١)، «وهؤلاء الذين لا يضعون يسوع المسيح كأساس لكل شيء ليسوا سوى شواهدَ قبورٍ ومدافن كُتِبَتْ عليها أسماء البشر» (٦: ١)، والإشارةُ هنا إلى الحياة الجديدة التي لا تأتي من الفرائض، بل من قيامة المسيح.

كما نجد في هذه الرسالة أيضاً شكلاً صحيحاً للحوار اللاهوتي: «سألني بعضهم وقال ما لا أجده في الوثائق القديمة (العهد القديم) لا أقبله ولو كان في الإنجيل؟ (٨: ٢) قلت لهم: «إن كل ما نعلِّم به موجودٌ في الكتب المقدسة. أجابوا إنَّ هذا يحتاج إلى برهان. أمَّا أنا فوثائقي القديمة هي يسوع المسيح، ووثائقي التي لا تُدحر هي صليبه وموته وقيامته والإيمان الذي أعطاه. بكل هذا أتبرَّر وبمعونة صلواتكم» (٨: ٢).

ورغم أننا لا نعرف ما هو الموضوع الدقيق للجدال المشار إليه، وإنما من الواضح أن اليهود يطلبون البراهين من كتب الأنبياء على صحة ما جاء في الإنجيل؛ لأن ما جاء في الإنجيل — من وجهوا نظرهم – لا يكفي. ومن الواضح أيضاً أننا هنا أمام العادات القديمة وحفظ الناموس الموسوي، وأنَّ الكل الذي لا يمكن تجزئته هو الموضوع الذي يندرج تحت اسم «اليهودية».

هذه هي أيضاً طريقة العرض التي نراها في الرسالة إلى ديوجنيتس حيث يكتفي الكاتب بالكلام عن الذبائح ونظام العبادة ويترك باقي الأمور؛ لأن اليهوديةَ لا تتجزأ.

ديوجنيتس:

وقيمة الرسالة في أنها أقدم مقارنة بين المسيحية والوثنية واليهودية.

فبعد أن فنَّد الكاتب الديانة الوثنية يسأل: لماذا لا يعبد المسيحيون مثل اليهود؟ (٣: ١) ويجيب: «لأن الذي صنع السموات والأرض وكل ما فيها (خروج ٢٠: ١١ — مزمور ١٤٦: ٦ — أعمال ١٤: ١٥) والذي يعطي كل ما نحتاجه، لا يحتاج لما يقدِّمه هو لنا» (٣: ٤). «وفي كل هذا يبدو لي أنه لا فرق بين الذين يعبدون ويكرمون الله بتقديس الذبائح له، وتقديم الدم والشحم والمحرقات والذين يقدمونها للتماثيل الصماء» (٣: ٥). ومع هذا لا يقف الكاتب عند مجرد رفض الذبائح، «وبالإضافة إلى ما ذكرت، أرى أنك في غنى عن أن أمدك بكل أوهامهم (اليهود) الخاصة بالطعام أو الخرافات المتعلقة بالسبت أو تفاخرهم بالختان، وزيف صيامهم ورصدهم طلوع القمر لتثبيت الأعياد، فكل هذه توافهٌ لا تستحق البرهنة على عدم قيمتها» (٤: ١). «وبعد هذا يعيش المسيحيون مثل باقي الناس بلا شيء يميزهم حتى الوطن واللغة والعادات» (٥: ١)، بل إنهم يتبعون عادات البلاد التي يعيشون فيها في الملبس والمأكل معاً وكل ما يخص الحياة» (٥: ٤).

وهكذا، فإن ما يميِّز المسيحية ليس الطعام أو الشراب والملابس أو غيرها، وإنما الحياة الفائقة التي تجعل الإنسان «مواطن السماء» (٥: ٩). ويتميز المسيحيون أيضاً عن اليهود بأنهم أمم، وهذا يعني عدم وجود شركة بينهم وبين المجمع.

يوستينوس: الحوار مع تريفو:

يسجِّل الحوار مع تريفو الموقف من اليهودية بشكل واضح. وكاتب الحوار، وهو الشهيد يوستينوس ينقلنا إلى أجواء القرن الثاني الميلادي حيث لا زال الجدل مع اليهودية شديداً.

يقول يوستينوس عن الناموس:

> «لقد قرأت يا تريفو أنه سيكون لدينا ناموساً أفضل،
> وعهداً له سلطة على الكل؛ لأن الكل سوف يراعيه

لكي يرث ملكوت الله. لأن الناموسَ الذي أُعلن على جبل حوريب قديمٌ، وكان من أجلكم فقط، أمَّا هذا الناموس الأفضل فهو من أجل الكل».

«والناموس الثاني ينسخ الأول والعهد الثاني يُبطل الأول. وهكذا أعطانا المسيح ناموساً أبدياً ونهائياً لا يكون بعده ناموس ولا وصايا ولا أحكام. ألم تقرأ ما يقوله أشعياء ''اسمعوني اسمعوني يا شعبي ويا ملوك أعطوني آذانكم لأنه ستخرج مني شريعةٌ، وستكون أحكامي نوراً للأمم وسوف يترجى الأمم يدي (أشعياء ٥١: ٤ – ٥)» (الحوار مع تريفو: ١١).

«هذا الناموس ليس قائماً بالأطعمة والشراب والاغتسالات، بل الناموس الجديد الذي سوف ينير حياة الأمم» (الحوار مع تريفو: ١١).

«وهو الذي سيجعل الأمم أبناء لإبراهيم الذي قَبِلَ الختانَ علامة الانتماء للعهد. ولكن العهد الجديد هو شيء آخر؛ لأن النفس تختن في اليوم الثامن أي يوم الأحد. وما هو أهم من الكل أن العهد كان مع الذكور دون الإناث، وعجز الإناث عن اقتبال الختان يبرهن على أن الختان كان مجرد علامة وليس له قوة التبرير؛ لأن الله أعطى الإناثَ أيضاً القدرة على الاهتمام بالفضائل» (الحوار مع تريفو: ١٣).

ثم يضيف يوستينوس:

«لم يكن الختان ضرورياً حتى جاء إبراهيم، ولم يكن حفظ السبت ضرورياً وكذلك الأعياد والذبائح حتى جاء موسى وهكذا كل هذا لم يعد له أهمية الآن؛ لأنه

حسب إرادة الله الآب وُلِدَ يسوع المسيح بدون خطية
من عذراء من نسل إبراهيم (الحوار مع تريفو: ٢٣).

فالتجسُّدُ بداية تحرير الإنسان، فلقد جاء إلينا ابن الله بالجسد، وهذا يعني أننا لا نحتاج لأن نذهب إليه بفرائض الناموس التي كانت تساعد الذين يحفظونها على الاتصال بالله. وهكذا يضع يوستينوس التجسُّد كقاعدةٍ أساسيةٍ لرفض الناموس الموسوي ويستعيد التأول الرمزي للعهد القديم لكيً يؤكد أن كل الذبائح قد آلت إلى ذبيحة واحدة وهي ذبيحة الصليب (الحوار مع تريفو: ٤٠).

وتقدمة الدقيق النقي التي يقدِّمها الأبرص صارت رمزاً للإفخارستيا (الحوار مع تريفو: ٤١) التي تقدَّم الآن لتطهير النفس من الشر حسب نبوة ملاخي (١١: ١٠ – ١٢). ولا توجد وسيلة للتطهير «عليك بسرعة أن تعرف بأي شكل تتم مغفرة الخطايا ورجاء ميراث خيرات الله لا توجد سوى وسيلة واحدة وهي الاعتراف بالمسيح، وأن تغتسل بالاغتسال الذي أشار إليه أشعياء (٥٨: ١١)، أي المعمودية لمغفرة خطاياك (الحوار مع تريفو : ٤٤)».

وهكذا نرى بكل وضوح أن الكنيسةَ بعد الرسل رفضت الناموس الموسوي برمته.

الفصل الرابع

القوانين المقبولة في الكنيسة الجامعة حتى القرن الخامس

تمهيد:

على الرغم من أنه لا يوجد لدينا تعليم عقيدي بشأن القوانين الكنسية، أي ما يجب أنْ نقبله، وما يجب أن نرفضه، وما يجوز تغييره، وما يجب أن يظل كما هو دون تغيير، فقد ترك لنا التاريخ الكنسي مجلدات من القوانين تشغل في الواقع الألف سنة الأولى من حياة الكنيسة، ولكنها تبدأ تقل، بل وتنعدم في الألف سنة الثانية.

على أنه من المؤكد أننا ملزمون – وهذا ظاهرٌ من تاريخ الكنيسة – بما قررته المجامع المسكونية من تحديدات عقائدية مثل قانون الإيمان النيقاوي ٣٢٥م وبعض التشريعات الكنسية التي صارت مُلزمة مثل بعض القوانين التي وُضِعَت في المجامع المسكونية الثلاث: نيقية ٣٢٥م والقسطنطينية ٣٨١م وأفسس ٤٣١م.

ولكن نشأت قوانين الآباء والبطاركة، وهي وإن كانت لم توضع في مجامع مسكونية أو مكانية، إلَّا أنها كانت لازمة في الظروف التي سادت الكنيسة حيث كان من الحتمي على معلمي الإيمان مثل باسيليوس وضع بعض الحلول لبعض المشاكل. وجاءت هذه الحلول في شكل رسائل لم يكن قصد كاتبيها أن تصبح قوانين في الكنيسة، ولكنها أخذت هذه الصفة وصارت فيما بعد قوانين.

وعلى الرغم من أنه لم ينشأ نظام قانوني يفصل في أهمية القوانين الكنسية، وعلى الرغم من أن كتب القوانين القديمة حافلة بكل ما هو أصيل أو دخيل، إلَّا أننا – من النظرة العامة على مجموعات القوانين الكنسية التي انتشرت في الألف سنة الثانية وباللغات القبطية والعربية والسريانية واليونانية والأرمينية – نرى أن هذه المجموعات هي جوامع لأحكام القوانين الكنسية دون تفضيل أو إثبات لأهميتها.

ولعل المشكلة الرئيسية التي نحن بصددها هي التضارب والتناقض الذي سوف نراه فيما يسمى بالقوانين الكنسية، وهي صياغات تتفاوت من القرن الثالث إلى الثالث عشر، لا ندري بأي شكل، وعلى أي أساس استقرت في الكنيسة.

وهناك مشكلةٌ أخرى هامة، وهي أنه لم ينشأ لدينا حساسية النقد للقانون الكنسي وامتحانه في ضوء العقيدة نفسها، وهي الأصل؛ لكي نرى ما إذا كان لدينا تشريعات تنازلت عن روح العهد الجديد، أو أضافت إليه ما يختلف عنه في الروح والهدف. تلك هي المشاكل الأساسية التي لا نملك لها حلاً هنا، وإن كان علينا أن ندرس هذه القوانين في هدوءٍ، ودون انفعال.

وقبل أن نتناول القوانين المقبولة بمزيد من التفصيل يهمنا هنا أن نسجِّل الملاحظات التالية:

أولاً: لا توجد تشريعات قانونية خاصة بطهارة الجسد في القوانين القديمة على وجه الإطلاق وهي: قوانين الرسل – قوانين المجامع المسكونية – قوانين المجامع المكانية – قوانين الآباء البطاركة – باسيليوس – ذهبي الفم – أثناسيوس وكيرلس السكندري...

ثانياً: إنَّ هذه القوانين – على العكس – تحمل بعض التوجيهات الخاصة بالحياة الشخصية المسيحية، هي على نقيض التيار اليهودي أو التيار المسيحي المتهوِّد، وبشكل خاص ما جاء في قوانين الرسل وقوانين أبوليدس (التقليد الرسولي للقديس هيبوليتوس).

ثالثاً: وبالحصر الشديد، لا مجال لتشريعات كنسية عن طهارة الجسد إلَّا في ما نُسب إلى ديونيسيوس السكندري وتيموثاوس السكندري، وفي الألف الثانية ما نُسِب لكيرلس ابن لقلق.

رابعاً: إننا لا نقرأ عن موانع عن التناول سوى الأحكام الخاصة بصحة الإيمان أو الهرطقة في كل الكتابات التي لدينا، وفي كل القوانين ما عدا ما نُسِبَ إلى ديونيسيوس وتيموثاوس وكيرلس ابن لقلق، وما استقر في مخطوطات كتاب التعميد عن عدم دخول المرأة إلى الكنيسة لمدة ٤٠ يوماً بالنسبة للذكور و٨٠ يوماً بالنسبة للأنثى، وهو وضع غير معروف على وجه الإطلاق في القرون الخمسة الأولى.

خامساً: لا المعاشرة الزوجية، ولا حتى عدم الانقطاع عن الطعام صار قاعدةً تمنع من التناول إلَّا بعد القرن الخامس. ونفس الكلام ينطبق على المرأة الطامث، والرجل المحتلم.

سادساً: إذا صَحَّ ذلك، أصبح من الواضح أنْ نأخذ كلَ نصٍ على حِدةٍ، وفي الإطار الخاص به، لا سيما الظروف والمناسبات التي أدت إلى ظهور هذا النص في القوانين الكنسية.

قوانين الرسل وقوانين أبوليدس:

يقول النص القبطي:

> ”إذا كان لديك زوجةً فصلِّيا معاً. وإذا كانت غير مؤمنة عليك أنْ تنعزل في مكانٍ وتصلِّي وحدك وبعد ذلك تعود إلى مكانك. وأنت يا مَن هو مرتبط بالزيجة لا تمتنع عن الصلاة لأنك لم تتدنس، لأن الذين اغتسلوا لا يحتاجون إلى أن يُغسلوا من جديد؛ لأنهم تطهَّروا وصاروا أنقياء.
>
> وإن نفخت في يدك اختم جبهتك بالريق الذي

يخرج من فمك، وأنت تصبح نقياً حتى قدميك؛ لأن هذه هي عطية الروح القدس. ونقاط الماء هي نقاط مياه المعمودية النابعة من ينبوع هو قلب المؤمن وهي تطهِّر الذي يؤمن»[١٣].

ولعل أول ما نلاحظه هو أن القانون لا يزال يذكُر الزوجة غير المؤمنة، وهو الوضع القديم في بداية العصر الرسولي، والذي لم تقبله الكنيسة في القرن الثالث أو الرابع. ولكن أهم ما نلاحظه هو أن القانون يضع قاعدة مضادة تماماً لسفر اللاويين الذي يقضي بأن المرأة التي يضطجع معها رجل .. يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء (راجع لاويين ١٥: ١٨)؛ لأن المعمودية هي الاغتسال الوحيد الذي يطهِّر الإنسان في العهد الجديد. وهذا ما يحدده القانون ٢٧ من قوانين أبوليدس:

«والذين هم مرتبطون بالزيجة. ولو أنه يقوم من عند زوجته فليصلِّ؛ لأن الزيجة غير نجسة ولا يحتاج إلى حميم بماء من بعد الولادة الثانية ما خلا غسل اليدين لا غير؛ لأن الروح القدس يرشم المؤمن ويطهِّره جميعاً»[١٤].

ولعلنا هنا لسنا أمام رفض لشريعة التطهيرات فقط، بل نحن أمام عدة نقاط هامة غريبة على شريعة العهد القديم:

أ- إن هذه القوانين تخلو تماماً من أي كلام أو إشارة إلى تطهير الجسد كشرط لازم للتناول من الأسرار المقدسة.

ب- وهي لا تعير القواعد المعروفة في سفر اللاويين أي اهتمام، بل تضع عكسها على خط مستقيم.

جـ- من الناحية اللاهوتية، التطهير الوحيد هو المعمودية، وهنا علينا

(١٣) والترجمة العربية التي شاعت في القرون الوسطى لا تختلف مطلقاً عن القبطية سوى في الترقيم، فالنص القبطي هو القانون رقم ٦٣ والنص العربي هو القانون رقم ٤٧ في الكتاب الأول – (راجع مذكرات في قوانين أكليمنضس وأبوليدس – الكتاب الثاني – القمص صليب سوريال ص ١٠).

(١٤) المرجع السابق ص ١٤.

أنْ نلاحظ أنَّ الفرقَ ظاهرٌ بين الاستحمام بالماء للنظافة، وهو قاعدة يقررها الإنسان حسب احتياجه، بينما الاستحمام بالماء للطهارة وغسل النجاسة هو فرض لا يملك الإنسان أن يقرره حسب احتياجه.

د- وقيمة المعمودية — كاغتسالٍ - أزال كل اغتسالات العهد القديم، يعني التمسك بالشريعة الأفضل، أي نعمة العهد الجديد.

المعمودية اغتسال العهد الجديد:

من الأخطاء الشائعة التي وقعت فيها كتب اللاهوت، عدم تقديم دراسة دقيقة عن النعمة في الأرثوذكسية والنعمة في الهرطقات لا سيما الأريوسية والنسطورية. لقد سادت الفكرة القائلة بإنَّ الأريوسية هي إنكار وحدة جوهر الآب والابن، وهذا صحيح، لكننا لم نسأل أنفسنا ما أثر الهرطقة الأريوسية على الأسرار لا سيما المعمودية.

من كتابات أثناسيوس بطل الأرثوذكسية ندرك أن المعمودية في الأريوسية هي بلا قيمة، وبلا فائدة؛ لأننا نعمَّد باسم الخالق والمخلوق (ضد الأريوسيين ٢: ٤١). ولكن المشكلة الأساسية ليست اشتراك المخلوق أي الابن مع الآب، بل قيمة المعمودية نفسها.

يقول أثناسيوس:

> «كلمةُ الله هو واحد لأنه الابن الوحيد المولود حقاً من جوهر الآب، وهو والآب في جوهر واحد هو جوهر اللاهوت غير المنقسم ... وإذا لم يكن هذا صحيحاً فمن الذي به يخلق الآب؟ وفي مَن يُعلن الآبُ ذاته لمن يريد لا سيما للذين يستنيرون (يعمدون)؟ ولماذا في تقديس المعمودية يُذكر اسم الابن مع الآب؟ وإذا قالوا إن الابن يُذكر مع الآب لأن الآب وحده لا يكفي، فإن هذه إجابة شريرة، ولكنه هو مع الآب وهذا صحيح

ليس لأن الآب يحتاج للابن في خلق العالم أو في الحميم المقدس، وهذا ظاهر جداً فأي شركة بين المخلوق والخالق؟ ولماذا يحسب المخلوق مع الخالق في تقديسنا جميعاً؟ وإذا كان اتصالنا هو باللاهوت، فما هي حاجتنا إلى مخلوق؟ ولكن إذا كان اتحادنا هو بالابن كمخلوق يصبح ذكر اسمه في المعمودية بلا لزوم لأن الله الآب إذا خلق الابن فهو قادر على أن يخلقنا نحن أيضاً أبناءً له. وبالإضافة إلى ذلك، لو كان الابن مخلوقاً، فإن طبيعة الكائنات العاقلة المخلوقة هي طبيعة واحدة وهذا بدوره يعني أنه لا معرفة يمكن أن ينالها مخلوق من مخلوق لأن الكل يحتاج إلى النعمة من الله نفسه» (ضد الأريوسيين ٢: ٤١).

إنَّ ما يريد أثناسيوس أنْ يقوله هو إنَّ النعمة من الله نفسه **من الآب بالابن في الروح القدس**، وهي ليست وسيلة مادية أو مخلوقة.

إنَّ رفض الأريوسية هو رفضٌ للاعتراف بأنَّ النعمةَ مخلوقةٌ، وهذا هو تفوُّق العهد الجديد على العهد القديم. نحن لا نأخذ نعمةً من الماء؛ لأن الماء بدون نعمة الروح القدس بلا قيمة. ونحن نأخذ اغتسال المعمودية مرةً واحدةً، ونتطهَّر بالروح القدس مرةً واحدةً تطهير أبدياً لا يمكن أن يضيف إليه الاستحمام بالماء أو أية وسيلة أخرى نعمةً ما، ولا يمكن أنْ ينقص من النعمة الإلهية شيء أيضاً.

إنَّ أثناسيوس يرى أنَّ الاتصال باللاهوت هو غاية فداء الإنسان وخلاصه، ولذلك يقول إنَّ هذه الصلة هي النعمة التي جاء بها المسيح، ولذلك فهو غير مخلوق. يقول أثناسيوس:

«وعندما أعطى قديسيه هذا الوعد تكلَّم على هذا النحو: «أنا والآب نأتي ونصنع منزلاً فيه». وأيضاً: «وكما أنا

وأنت واحد ليكونوا هم واحداً فينا». والنعمةُ التي تعطى هي نعمةٌ واحدةٌ، تعطى من الآب بالابن كما كتب بولس في معظم رسائله: «نعمة لكم وسلام من الله الآب والرب يسوع المسيح (يوحنا ١٤: ٢٣ — ١٧: ٢١، ٢٢ - رومية ١: ٧ — ١كو ١:٣ — أف ١:٢)» (ضد الأريوسيين ٢: ٤٢).

ويؤكد أثناسيوس هذا بشكل مباشر في نصٍ قاطع:

«وهكذا أفرغ هؤلاء السِّر، أعني المعمودية، لأنه لو كان التقديسُ يعطى لنا باسم الآب والابن، وكان الأريوسيون لا يعترفون بالآب الحقيقي لأنهم ينكرون أبوته عندما ينكرون الذي من جوهره، وبذلك ينكرون الابن الحقيقي ويدعون آخراً اخترعوه من مخيلتهم، فهذا هو ما يجعل طقس المعمودية الذي يخدمونه فارغاً بلا فائدة، ومجرد مسرحية لا تقود إلى تقوى حقيقية» (المرجع السابق ٢: ٤٢).

لو كان من الممكن أن يعود الإنسان لله بوسيلةٍ مخلوقة تؤهِّله لشركة الحياة الأبدية - وهو منهج الأريوسية - لأصبح من الممكن أنْ ينال الفداءَ بدون المسيح. **لا تطهير بدون الابن الكلمة، ولا تقديس إلَّا بالروح القدس.**

لقد استخدم القديس أثناسيوس كلمة يونانية هامة «θεοποινδις» في المقالات الثلاثة ضد أريوس، والرسائل الخمس إلى سرابيون عن الروح القدس، هذه الكلمة لا يمكن ترجمتها إلى كلمة عربية واحدة، وإنما هي **ارتفاع المخلوق إلى حالة عدم الفساد، أي الحالة التي فيها الله نفسه. وهي حالة عدم الموت التي أمكن للإنسان أنْ ينالها بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، وهي** αφθαρσια **وهذه تعطى بدورها للمؤمنين بالمسيح حتى أنهم يصبحون رائحة المسيح الذكية.** (راجع الرسائل إلى سرابيون ١: ٢٣).

وعند أثناسيوس، البرهان على إلوهية الروح القدس هو اختبار التقديس الذي يقدِّس فيه الروح القدس كلَ الخليقة؛ لأنه يقدِّس ويهَب الحياةَ دون أن يتقدَّس هو أو ينال الحياة من مصدر آخر (المرجع السابق ١: ٢٣). والروح هو الختم والمسحة، ولذلك يسأل أثناسيوس كيف يكون الروح مخلوقاً، وما هي أوجه الشبه بين الذي يختِم وبين الذين يُختَمون ويُمسَحون؟

«ولكن إذا كان الروحُ هو المسحةَ والختمَ الذي به يمسَحُ ويختِمُ الكلمةُ كلَ الأشياء، فما هو الشَبَه أو الصفة (المشتركة) بينه وبين كل الأشياء التي تُمسَح وتُختَم؟ بهذا الاعتبار لا يمكن أن يكون الروح القدس ضمن كل الأشياء، ولا يمكن أن نحسب الختم ضمن الأشياء التي تُختَم، أو المسحة ضمن الأشياء التي تُمسَح، بل هي ملكٌ للكلمة الذي يمسَحُ ويختِمُ» (المرجع السابق ١: ٢٣).

وبشكل أوضح يقول أثناسيوس:

«الختَمُ له صورةُ المسيح الذي يختِم، والذين يأخذون الختَم، إنما يشتركون فيه» (المرجع السابق ١ : ٢٣).

وبعد ذلك يضع أثناسيوس كلمته المفضَّلة:

«وأيضاً بالروح نُوصف بأننا شركاء الله θεοποιησις لأنه مكتوب، ألا تعلمون إنكم هيكل الله لأن روح الله يسكن فيكم؟ فإذا كان الروح القدس مخلوقاً فكيف يكون لنا شركةٌ في الله بواسطته» (المرجع السابق ١: ٢٤).

هذه الشركة واضحة جداً فهي نعمة العهد الجديد. وليست هذه عبارات خاصة بأثناسيوس؛ لأن الآباء الذين عاصروا الجدل الخاص بالروح القدس يقولون نفس الكلام.

يقول باسيليوس:

«إذا قسَّموا الثالوث فسوف يفصلون أنفسهم عن

الحياة» ويضيف «إنهم لن يفصلوا الروح من جوهر اللاهوت؛ لأنهم بذلك يقطعون أنفسهم تماماً من اللاهوت، ويعزلون الله عن الخليقة»[١٥].

إذن، ما هي النقطة الجديرة بالاعتبار هنا؟

هي بكل دقة، ما يعتبره الآباء التقديس الآتي من الله، والذي لا يمكن أن يناله الإنسان بواسطة قوة مخلوقة. هذا التقديس يتضمن الشركة في قداسة الله بالروح القدس، ولا يمكن مطلقاً الحصول عليه بوسيلة مخلوقة، أي اغتسالات الجسد مهما كانت.

الرسالة إلى آمون:

وطالما نحن في معرض الكلام عن أثناسيوس، فمن الضروري أن نقتبس هنا بعض المقاطع من رسالة أثناسيوس إلى آمون الراهب المصري وأب نتريا Νιτρια والتي كُتبت حوالي ٣٥٤م، فهي تشرح الأرثوذكسية التي نراها بكل وضوح من كتاب تجسُّد الكلمة، والردود على أريوس، والرسائل إلى سرابيون. هكذا يكتب أثناسيوس:

«كل الأشياء التي خلقها الله جميلة ونقية؛ لأن كلمة الله لم يخلق شيئاً عديم النفع أو دنساً. وكما يقول الرسول: «لأننا رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون» (٢ كورنثوس ٢: ١٥).

ولكن؛ لأن حبائل الشيطان مختلفة وماكرة، وهو يتحايل لكي يزعج بسطاء العقول، ويحاول أنْ يمنع الأخوة من الممارسات اليومية عندما يبذر فيهم أفكاراً من عدم الطهارة والدنس، لذلك علينا أنْ نشتِّت أخطاء الشرير بواسطة نعمة المخلِّص، وبهذا نثبِّت فكرَ البسطاء.

(١٥) أنظر: Adv. Eun II:5 and V:7 ZA وأيضاً غريغوريوس النزينزي: Orat ٤:٣١

مكتوبٌ «للأنقياء كل شيء نقي»، ولكن الضمير، بل كل شيء خاص بالنجسين هو غير نقي، بل نجس (تيطس ١: ١٥).

وهذا يجعلني أتعجَّب من حيَل الشيطان لأنه هو الفساد والنجاسة نفسها، ومع ذلك يوحي بأفكارٍ تحت غطاء النقاء لكي تقود إلى فخ، وليس إلى تذوُّق النقاء. والهدف من هذا – كما قلتً سابقاً – أنْ يعطِّل النُّسَّاك من حياة التأمل والوحدة. ولكن ما يبدو كما لو كان قد طهَّرهم، يحرك بعض الأفكار التي تطن، وهي أفكارٌ بلا فائدة في الحياة اليومية، بل هي أسئلة فارغة وخيالات طائشة على الإنسان أن يطرحها بعيداً.

اخبرني يا صديقي المحبوب والتقي، ما هي الخطية أو الدنس في الإفرازات الطبيعية، كأن يعتبر الإنسانُ مذنباً إذا نظَّفَ أنفه أو تخلَّصَ من البصاق الذي في فمه؟ ويمكن أن نضيف إلى هذا الإفرازات الناتجة عن الطعام بعد هضم الطعام في البطن، وهي ضرورة تحتمها حياة الكائن الحي.

بالإضافة إلى ذلك إذا كنا نؤمن أنَّ الإنسان – كما تقول الكتب المقدسة – هو من عمل يدي الله، فكيف يمكن أنْ يتكوَّن عملٌ نجسٌ من قوة نقية؟ وإذا كنا – حسب سفر أعمال الرسل المقدس – «ذرية الله» (١٧: ٢٨)، فلا شيء نجساً إذاً فينا؛ لأننا نتدنس إذا أخطئنا، والخطية هي النجاسة الحقة. وعندما تحدث إفرازات من الجسد بدون إرادة، فإن ما نختبره هو جانب ضروري تحتمه الطبيعة.

ولكن لأن البعضَ يجد لذةً في إفساد ما هو مستقيم، أو ما خلقه الله، يحرِّفون القول في الأناجيل مُدَّعين أنه يعني ليس ما يدخل بل ما يخرج (متى ١٥: ١١) هو الذي ينجس الإنسان، أصبح من الحتمي علينا أن نفنِّد بوضوح هذا الفكر المنحرف الذي لا يمكن أن أجعله مجرد سؤال منهم. فقبل كل شيء – لكونهم غير راسخين في الحق – يحرِّفون الكتب، وهو ما يزيد جهلهم (٢ بطرس ٣: ١٦).

أمَّا معنى الأقوال الإلهية، فهو ما يلي: هناك أشخاصٌ مثل الذين يعيشون بيننا اليوم كانت لهم شكوك حول الطعام، ولكي يبدِّدُ الربُ جهلهم، أو لكي يرفع القناع الذي يغطِّي خداعهم، يحدد أنه ليس ما يدخل ينجس الإنسان، بل ما يخرج.

وعلى الفور يحدد لنا من أين يخرج. من القلب؛ لأنه من هناك – كما يعرف الرب – توجد كل كنوز الشر، وأفكار الدنس والخطايا الأخرى، والرسول يعلم نفس التعليم بكل دقة قائلاً: «لأن الطعام لن يقدمنا أمام الله» (١كورنثوس ٨: ٨). وأيضاً يمكن أن نقول – بنفس الإدراك – لا يوجد إفرازٌ حسب الطبيعة سيقودنا إلى الدينونة.

ولكن لكي يخجل هؤلاء ليس منَّا فقط، بل من الأطباء الذين يؤيدون ما نقوله إزاء هذا الموضوع، نذكر أن الأطباء يخبروننا بأنه توجد قنوات مركبة في الجسد الحي لكي تقوم بإفراز الزائد في كل أجزاء الجسد مثل القنوات الموجودة في الرأس والتي تفرز الدموع،

أو عندما ينمو الشعر أو الفضلات التي تطردها البطن، والإفراز الزائد الذي تطرده القنوات المنوية.

فما هي الخطية اخبرني من أجل الله أيها الشيخ المحبوب من الله، إذا كان السيد الذي صنع الجسد هو الذي شاء وخلق القنوات التي تفرز هذه الإفرازات؟

وحيث يجب علينا أن نجيب على الاعتراضات الخاصة بالإفرازات التي يقدِّمها هؤلاء الناس الأشرار، وهم ربما سيقولون: إذا كان الخالق هو الذي ركَّبَ الأعضاء المختلفة، فلا يوجد ذنب في استعمالهم الصحيح. وعلينا أن نوقفهم بسؤالنا هذا السؤال: ماذا تعنون بكلمة استعمال؟ هل هو الاستعمال الصحيح الذي إذِنَ به الله عندما قال: «أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ١: ٢٨) والذي ثبَّته الرسول بقوله: «ليكن الزواج مكرماً والمضجع غير دنس» (عبرانيين ١٣: ٤)، أمْ هو الاستعمال الماجن الذي يتم في الخفاء، وهو الزنا؟ لأننا ليس في هذا الموضوع فقط، بل في كل ما يخص الحياة سنجد أنَّ الاستعمال تحدده الظروف، وعلى سبيل المثال: القتلُ ليس مشروعاً، ولكن في الحرب يصبح مشروعاً، والقضاء على العدو جدير بالمديح، بل إن الذين يحاربون بشجاعة ويتفوقون على الآخرين في ميدان المعركة ينالون كرامةً فائقةً، بل تقام لهم التماثيل لكي تذيع شجاعتهم. وهكذا، العمل الواحد في وقتٍ معين وظروفٍ معينة يكون غير مشروع، وفي وقت آخر مختلف وتحت ظروف معينة يصبح مشروعاً بل وصحيحاً. هذا المبدأ نفسه ينطبق على العلاقات بين

الجنسين. مباركٌ الذي – بحرِّيةٍ – يقبل في شبابه نير الزواج، ويلد الأولاد حسب قانون الطبيعة.

أمَّا إذا استخدم الطبيعة الإنسانية في الانحلال، فإنَّ الدينونةَ – التي كتب عنها الرسول – التي تنتظر القوادين والزناة (عبرانيين ١٣: ٤)، تنتظره أيضاً.

لأنه يوجد طريقان في الحياة بالنسبة لهذه الأمور، الأول: وهو عادي ومعتدل أي الزواج، والثاني ملائكي وفائق أي البتولية. فإذا اختار إنسانٌ طريق العالم، أي الزواج فهو حقاً لم يخطئ، إلَّا أنه لن يأخذ نفس المواهب العظيمة الموجودة في الطريق الثاني» (أعمال أثناسيوس الترجمة الانجليزية ص ٥٥٦ – ٥٥٧).

وعلى الرغم من أننا لا نعرف الكثير عن الخلفية التاريخية أو الموضوع الذي أثار جدلاً حول إفرازات الجسد في نتريا .. إلَّا أنه من الواضح أنَّ الرهبان كانوا مشغولين إلى الحد الذي استدعى أن تكون هناك رسالة من رئيس الأساقفة في الإسكندرية. وعلى ما يبدو، فإن هذه الرسالة تقتبس فكرتين، الأولى: الطريقة المنحرفة التي فهم بها البعض نص الإنجيل «ليس ما يدخل، بل ما يخرج»، والثانية: النظرة إلى استعمال الجسد. لكن الجدير بالملاحظة هو أن أثناسيوس لا يضيِّع الوقت في مناقشة الخصم، بل يضع الأساس العقيدي السليم على هذا النحو:

أ- إنَّ الخليقةَ جميلةٌ ونقيةٌ؛ لأن الكلمة اللوغوس هو خالق كل الأشياء.

ب- إنَّ الخالقَ طاهرٌ، ولذلك لا يمكن أنْ يخلق شيئاً نجساً أو دنساً.

جـ- إنَّ الجسدَ طاهرٌ، والإفرازات هي قانون الطبيعة الخاص بالجسد، وهذا ليس دنساً في حد ذاته.

د- ولعل النقطة الهامة والأساسية عند أثناسيوس هي أنَّ الخطية هي في الاستعمال. فالقتل في الحرب مباح وخارج ساحة الحرب هو جريمة. ولذلك

فالعبرة هي بكيف نستخدم الجسد وتحت أي ظروف تنشأ العلاقة.

لقد طعن بعض الذين درسوا رسالة أثناسيوس إلى آمون في صحة الرسالة؛ لأنها على حد قولهم مزوَّرة، ولكن لا يوجد لدينا أي دليل على عدم صحة نسبة الرسالة إلى أثناسيوس، ولا يكشف نص الرسالة نفسه عن كاتب آخر غير أثناسيوس. إنَّ مؤلف الرسالة إلى الوثنيين، وتجسُّد الكلمة لا يمكن أنْ يكتب شيئاً مختلفاً عن الرسالة إلى آمون، فالعقيدة المسيحية كما شرحها أثناسيوس لا تعرف إلَّا فساد الخطية، وهو الفساد الذي جرَّهُ الموت (تجسُّد الكلمة ٦: ٤ — ٣: ٤)، ولكن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو الذي جعل عدم الفساد من نصيب الإنسان (تجسُّد الكلمة ٩: ٢)، واتحاد الابن بالجسد «قدَّس الجسد» (تجسد الكلمة ١٧: ٥). وما دام الجسد قد اشترك في ذات الطبيعة التي للجميع؛ لأنه كان جسداً بشرياً، وإن كان قد أُخذ من عذراء فقط بمعجزة فريدة، فكان لابد أن يموت أيضاً كسائر البشر نظرائه لأنه جسدٌ قابلٌ للموت. ولكنه بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعاً للفساد بمقتضى طبيعته، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه (تجسد الكلمة ٢٠: ٤). وليس هذا قاصراً على المسيح وحده لأن أثناسيوس يقول: «القضاء على الموت والفساد كلية بفضل اتحاد الكلمة بالجسد» (تجسُّد الكلمة ٢٠: ٥)، فالمسيح أمات الموت، لذلك لم يضع جسده ليموت بالموت الذي يخصه لأنه هو الحياة ولم يكن فيه موت، بل قبل الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيده نهائياً عندما يلتقي به في جسده (تجسُّد الكلمة ٢٢: ٣). لقد كان التجسُّد حقاً إنقاذاً للطبيعة الإنسانية. لو كان الموت خارج الجسد لكان من اللائق أنْ تتصل به الحياة من الخارج، أَمَا وقد صار الموت ممتزجاً بالجسد وسائداً عليه كما لو كان منه، فكان من المطلوب أن تمتزج الحياة بالجسد أيضاً حتى إذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت نَزَعَ عنه الفساد (تجسُّد الكلمة ٤٤: ٥). ولذلك، فبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح لا يوجد فساد في الجسد. ليس للموت سلطان على الحياة. لو كان الموت قد أُبعد عن الجسد

بمجرد إصدار أمرٍ منه، لَبَقى رغم ذلك – قابلاً للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد – ولكن لكي لا يكون هذا حال الجسد، فقد لَبِسَ الجسدَ كلمةُ الله الخالي من الجسد. الفساد قد أُبيد فيه (تجسُّد الكلمة ٤٤: ٦ و ٨).

مما سبق يبدو لنا واضحاً أنَّ مناقشة الناموس الموسوي لا مكان لها في كتب أثناسيوس؛ لأنَّ الكلمةَ الذي جاء لكي يرُدَّ الخليقةَ إلى ما كانت عليه قبل السقوط لا يمكن أنْ يعمل هذا العمل الجديد بقوة الناموس، فهو خلقٌ جديدٌ يحتاج إلى قوة لاهوت الكلمة، وليس إلى الفرائض التي لا قوة لها، والتي تعجز عن أنْ تُعيد الحياةَ إلى الإنسان الذي فَقَدَ الحياةَ وساد عليه الموت.

على أية حال، يلزمنا أنْ نلقي نظرةً على وثيقةٍ معاصرةٍ للرسالة إلى آمون، وهي مجموعة قوانين مجمع غنغرة الذي عُقد حوالي عام ٣٨١م، والذي يضع في بداية رسالته التعليم المنحرف الذي أذاعه افسطاتيوس أسقف سبسطية[١٦] الذي قَبَّحَ الزواج وأشاع بأنه لا أمل لأحد من المتزوجين في دخول ملكوت الله.

قوانين مجمع غنغرة:

القانون الأول يقول صراحةً: «كلُ مَن يطعن في الزواج ويحتقر المرأة المؤمنة التقية ويذمها لأنها تنام مع زوجها، ويزعم أنها لا تستطيع أنْ تدخل ملكوت السموات فليكن مقطوعاً» (ق ١ ص ١٥٧ المرجع السابق).

والقانون الثاني يدين بشدة الذين يمنعون أكل اللحم (المرجع السابق ص ١٥٨)، بل إن القانون الثالث يقطع من يرفض التناول من يد قس متزوج (المرجع السابق ص ١٥٥)، بل إنَّ الازدراء بالزواج، وتحت شعار البتولية هو أيضاً يستوجب القطع (المرجع السابق ص ١٦٢)، بل وكذلك نظرة الكبرياء من جانب البتوليين ضد الزواج والمتزوجين هي أيضاً تستدعي عقوبة القطع (المرجع السابق ق ١٠ ص ١٦٢).

(١٦) مجموعة الشرع الكنسي – حنانيا كساب ص ١٥٣.

ومن الواضح أن النقاش الذي دار في نتريا وفي عهد آمون ليس بعيداً عن جوهر الموضوعات التي ناقشتها قوانين مجمع غنغرة، وهي على أية حال معاصرة لأثناسيوس وتؤكد أنَّ الكنيسة كانت قد دخلت أجواء حركة التهود والعودة إلى الناموس الموسوي مع قليل من بدعة ماني أو الغنوسية.

الدسقولية:

لا شأن لنا بتاريخ ولغات وطبعات الدسقولية، فقد دُرِسَتْ بعناية بكل اللغات بما فيها العربية[١٧]. لكن الذي يعنينا في هذا المقام الجزء الضخم الذي تحارب فيه الدسقولية البدع مثل الأبيونية والغنوسية وحركة التهود، فهو على جانب كبير من الأهمية.

ففي الفصل ٣٢ تحت عنوان «لأجل أنَّ الشرير إبليس قرَّرَ هرطقات في بيعة المسيحيين» (المرجع السابق ص ٣٦٥) تضع الدسقولية البدع التي انتشرت في القرن الأول، وتسجِّل الحوار بين بطرس وسيمون الساحر، وبعد ذِكر سيمون الساحر مباشرةً تضيف هذه الملاحظة:

> «وأقوامٌ أُخر .. يعلِّمون أنْ لا يُتزوج. وأنْ لا يؤكل لحم، ولا يُشرب خمر - لأجل أنهم قالوا إنه نجس. ويطرحون الزيجة وولادة الأولاد وأكل الأطعمة. لكي يظهروا العفة» (المرجع السابق ص ٣٧٣).

وعندما تقدِّم الدسقولية الاعتراف المستقيم، وبعد صياغة قانون الإيمان مباشرةً تقول الدسقولية:

> «وأيضاً نقول إنَّ كل خليقة الله حسنة وليس فيها شيء مرذول. وكل الذي يؤخذ منها كما يجب لقيام الجسم مقبول. لأن كل شيء كما في الكتب حَسِنٌ جداً» (المرجع السابق ص ٣٧٧).

(١٧) الدسقولية: تعاليم الرسل. إعداد وتعليق وتقديم د. وليم سليمان قلادة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

وأيضاً نؤمن بأنَّ الزيجةَ الناموسية مُكرَّمَةٌ، وولادة الأولاد غير معيبة؛ لأن آدم وحواء خلقا بأشكالٍ متغايرة لأجل نمو جنس البشر » (المرجع السابق ص ٣٧٣).

وعلينا أن نسأل: لماذا تضع الدسقولية الجانب الخاص بالخليقة كجزء من الإيمان الرسولي؟ والرد ظاهر في الفصول التالية حيث تسجل الدسقولية رفض الختان (المرجع السابق ص ٣٧٨)، ثم تذكر المجمع الرسولي الذي أشار إليه سفر الأعمال في تطويل هام جداً إذا تعيَّن عقد هذا المجمع لأجل الختان والتطهير (المرجع السابق ص ٣٧٩: ١٢)، وهي الهرطقة المؤدية إلى الضلال (المرجع السابق ص ٣٧٩: ١٢)، وبعد أن تسجِّل تقريباً ما جاء بسفر الأعمال، تضيف إلى نص سفر الأعمال أنَّ أقواماً قالوا إنه يجب أن يختتنوا ويحفظوا التطهيرات التي في الناموس (المرجع السابق ص ٣٨٠: ١٤). ورَدُّ الدسقولية أوسع بكثير مما جاء في سفر الأعمال؛ ولكنه جدير بالملاحظة لأن الناموس الموسوي شُرِعَ للذين في العتيقة، أمَّا حكم مجمع الرسل، فقد كان عودةً إلى عصر ما قبل الناموس، إلى القاعدة التي عاش أنوش وأخنوخ ونوح وملكيصادق وأيوب بموجبها (المرجع السابق ص ٣٨٣: ١٧). وتُدافع الدسقولية عن الزيجة المكرَّسة المؤسَّسة من الله، ثم تعود وتسجِّل رفض الختان (المرجع السابق ص٣٨٩: ٣٠).

بهذا الشكل تسجِّل الدسقولية إجابة الكنيسة المسيحية على أسئلة اليهودية، ولكن الدسقولية أكثر دقة في موضوع الناموس، وهي الدقة التي رأيناها عند آباء القرن الثاني، فالناموس كله مرفوض والوصايا العشر حلَّت محلها اليوتا، أي رقم ١٠ أي يسوع. ولكن الناموس كله قد أُلغي تماماً وحَكَمَ الربُ بإلغاء القرابين (المرجع السابق ص ٤٠١: ٦٥). وكل الوصايا الخاصة بالتطهيرات ليست إلَّا الساجورة (أي الخشبة التي تعلَّق في عنق الكلب) التي وضِعَتْ في العهد القديم لكي تقيِّد حرية العبرانيين فلا يسلكوا ضلالات الوثنية (المرجع السابق ص ٤٠٣: ٦٨ وهامش ١٦). أمَّا نحن الذين نؤمن

بإله واحدٍ ... فقد حلَّنَا الربُ من الرباطات وجعلكم أحراراً من العبودية ... لأنَّ المسيح ابن الله لما جاء حقق الناموس وكمَّله، وحمل الأثقال التي جُعِلَتْ عليهم وبطَّلَها بالكمال .. (المرجع السابق ص ٤٠٤ – ٤٠٥: ٧١، ٧٣). ورفض ذبائح العهد القديم (المرجع السابق ص ٤٠٦: ٧٤). وكيف ثبَّت المسيحُ الناموس؟ لم يترع ذلك الناموس الطبيعي، لكن أبطل تلك الأوامر، بل بالحري ثبَّته (المرجع السابق ص ٤٠٨ : ٧٨، ٧٩، ٨٠)، وهذه النقطة تفسِّر لنا لماذا يستشهد أثناسيوس بالأطباء لكي يؤكد أنَّ الإفرازات هي قانون الطبيعة الذي وضعه الخالق.

وتمضي الدسقولية بعد ذلك لتأخذ كل بنود الناموس وفقراته: السبت والاغتسال والذبائح والكهنوت وسبط لاوي والهيكل ... كلُ هذه رُفِعَتْ. وعند التطهيرات الخاصة بالرجل والمرأة تقول الدسقولية:

> «فإن كان أقوامٌ يحتفظون أو يجتهدون في العمل بعادات يهودية التي هي اعتبار التقطير الطبيعي وفيض الليل ولمس الأموات نجاسةً كالناموس، فليقولوا لنا، ألعلهم في الساعات أو في الأيام التي يصيرون على واحدٍ من هذه الحالات يستعفون عن أنْ يصلّوا، أو يأخذوا من شكر الأسرار، أو لا يلمسون شيئاً من أسفار الكتب؟ وإذا اتفق وقالوا إن الامتناع عن هذه الأعمال ظاهر الوجوب، فقد صاروا مقفرين من الروح القدس الكائن الدائم كل حين للمؤمنين؛ لأن سليمان يقول ''لأجل القديسين'' ليكن كل واحد مستعداً إذا رقد أن يحفظ ذاته، لكي إذا قام يشترك في الكلام معه. لأن الروح القدس لا يفارق أحداً من المسيحيين في المعمودية إلى يوم الموت» (المرجع السابق ص ٤١٥ و٤١٦: ٩٨).

وتعود الدسقولية إلى موضوع الروح القدس – أساس التقديس في

المسيحية – وتخاطب المرأة:

''فإن كنت أيتها المرأة المقيمة في الدم سبعة أيام تفتكرين أنك صرت مقفرةً من الروح القدس لهذا السبب، فإنك إذا متِّ بَغتةً تذهبين وقد صرت غريبةً من الروح القدس، وتعوزك الدالة والرجاء الكائن لنا عند الله. ولكن الروح القدس ساكنٌ فيك بغير افتراق؛ لأنه ليس بمحصورٍ في مكانٍ واحدٍ. فيجب عليك أن تصلّي كل حين وتنالي من الإفخارستيا وتغتنمي حلول الروح القدس عليك» (المرجع السابق ص ٤١٦ – ٤١٧: ٩٩).

الدسقوليةُ لا تعرف إلَّا حلاً واحداً، وهو تطهير المعمودية الذي يؤهِّل الإنسانَ إلى حلول الروح القدس، وهذا التطهير هو بلا شك سُكنى الروح القدس الدائم. ولذلك لا يمكن أن تنال الإنسانَ نجاسةٌ من أي نوع؛ لأن النجاسةَ هي مفارقة الروح القدس للنفس، وهي تجعل الإنسان مجالاً لسُكنى الأرواح الشريرة.

وتقول الدسقولية:

«لأن الروح القدس كاملٌ، وهو يلازم الذين يقتنونه لهم ما داموا مستحقين لمجيئه. فأمَّا الذين يفترق منهم، فإنه يتركهم مقفرين معبِّسين ويسلِّمهم إلى الروح الشرير» (المرجع السابق ص ٤١٨: ١٠١).

وهذا هو ما يجعل الدسقولية تخاطب المرأة بالذات:

«أيتها المرأة إنْ كنتِ كما تقولين بغير روح قدس في أيام عادات النساء، فالروح النجس ملأك. فإن كنت لا تصلين ولا تقرأين في الكتب فإنك تجذبينه إليك ...» (المرجع السابق ص ٤١٩: ١٠٣).

وفي النسخة السريانية توجِّه الدسقولية نفس الكلام:

«قولي أيتها المرأة التي تعلن أنها غير طاهرة طبقاً للاويين طول السبعة الأيام التي للدم كيف ستطهُرين بعد هذه الأيام بدون معمودية؟ فإذا كنت مُعمَّدةً، فانك تهدمين بأفكارك معمودية الله الكاملة التي محت تماماً خطاياك ...» (حاشية ٩ على بند ١٠٣ السابق الإشارة إليه ص ٤١٩ نفس المرجع السابق).

وهكذا، بأسلوبٍ واضحٍ لا يقبل التأويل ترفض الدسقولية اغتسالات اليهود، وتعود بكل يقين إلىً نفس القاعدة اللاهوتية التي وضِعَتْ في قوانين الرسل وقوانين أبوليدس، وهي أن حلول الروح القدس بعد المعمودية هو أساس تقديس النفس والجسد أيضاً، ورفض الشريعة القديمة.

الفصل الخامس

السِّجود وعبادة الله بالروح والحق

كان من المفروض أنْ يتوقف الجدل تماماً، ولكن مسيرة الكنيسة كانت شائكة. فقد كانت الكنيسة تواجه ليس فقط تيار التهود عند المسيحيين، ولا معاداة اليهودية للكنيسة، بل كانت هناك أيضاً الغنوسية. ويمكننا أنْ نرى إلى أي حدٍّ كان الجدلُ دقيقاً.

فمن جانب المتهوِّدين، كان التمسك بكل الناموس هو أساس اختلاف حياتهم ونظرتهم مع المسيحية.

ومن جانب الغنوسيين، كان رفض الناموس وكل العهد القديم هو أساس تفكير مارقيون وغيره.

فماذا كان على الكنيسة أن تفعل؟ أترفض الناموس وتفتح الباب للغنوسية، أم تقبل الناموس وتفتح الباب لتيار التهوُّد، ثم لليهودية؟

لم تفعل الكنيسة هذا ولا ذاك، بل أكَّدت بشكل واضح أن الناموس قد أكمله المسيح كله كنائب عن الإنسانية، ولذلك لا يطلب الإيمان من المسيحيين التمسُّك بناموس موسى الذي أُلغي تماماً. لكن محتوى رسالة الإنجيل لم يكن من السهل قبوله، هل يقبل الإنسان نعمة الله دون أنْ يقوم بجهدٍ خاص من جانبه، لا سيما ما يتعلق بالاغتسالات؟ ومما لا شك فيه أن الاغتسال اليومي هو أوقع في النفس من اغتسالٍ واحدٍ في المعمودية؟ وهناك جانبٌ آخر أبقى الجدل حياً في الكنيسة، وهو قراءة أسفار العهد القديم في اجتماعات الكنيسة، واعتماد الكنيسة على هذه الأسفار في شرح الإيمان المسيحي نفسه، وصَدّ غارات اليهود.

ومع أنَّ التأويل الرمزي فتح باباً حقيقياً للقضاء على روح التهوُّد، إلَّا أنَّ هذا الباب هو باب المتأملين والعقلاء، وليس عامة الشعب. ولعلنا ندرك هذا من كتاب وضعه القديس كيرلس السكندري في سنة ٤٢٨م، أي بعد الدسقولية بعدة قرون لكي يناقض فيه العلاقة بين العهدين الجديد والقديم، ثم موقف الكنيسة من ناموس موسى.

هذا الكتاب – بعنوانه المعروف «السجود وعبادة الله بالروح والحق»، والذي يقع في المجلد ٦٨ من عامود ١٣٣ حتى عامود ١١٢٥ – هو أطول مناقشة سُجِّلت حتى الآن حول الناموس الموسوي. والكتاب يجيء في شكل حوار بين بلاديوس *Palladius* وكيرلس السكندري نفسه، وهو حوارٌ قائمٌ على محاولة كيرلس، ليس فقط الرد على أسئلة بلاديوس، بل شرح العقيدة المسيحية نفسها. لكن أهم ما في الكتاب أنه لا زال يعكس الجدل القديم الذي رأيناه في كتابات العلامة أوريجينوس وقوانين الرسل ... الخ. وسوف نعرض في الفصل السادس من هذه الدراسة للقوى التي كانت تحرك الجدل من آنٍ لآخر.

يمكننا أن نلقي نظرةً عامةً على كتاب كيرلس، فهو يبدأ بحوار حول تصريحات الرب في إنجيل متى ويوحنا بَدَتْ متناقضة جداً. يقول بلاديوس: «إنه قرأ إنجيل متى، وإنه وقف عند النص الذي يقول فيه الرب: «لا تظنوا إنني جئت لكي ألغي الناموس والأنبياء، ما جئت لكي ألغي بل لكي أكمل» (مت ٥: ١٧ – ١٨). ويلاحظ بلاديوس أنَّ يوحنا يقول العكس: «تأتي ساعةٌ وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح الحق» (يوحنا ٤: ٢٣ – ٢٤)». (راجع مجلد ٦٨: ١٣٣ – ١٣٦).

ورغم أن العلامة أوريجينوس قال بوضوح عن كلمات المسيح عن العبادة بالروح: «إنَّ الله لا يعبد بالجسديات والذبائح الحيوانية، وإنما بالروح ... والآب لا يمكن الاقتراب منه بالفرائض الخارجية، بل بالحق، والحق الذي جاء به يسوع المسيح بعد الناموس الذي جاء به موسى" (ضد كلسوس ٦: ٧٠

ترجمة هنري تشادويك ص ٣٨٥)، إلَّا أنَّ الموقف من الناموس لم يكن محدداً بشكل ظاهر في كتابات السكندريين قبل كيرلس، ولذلك يحوِّل كيرلس المناقشة إلى قلب العقيدة المسيحية، فيقول:

> «لقد كان عمانوئيل هو باكورة الخليقة الجديدة التي أُعيد خلقها μεταπλαττομενης إلى حياةٍ جديدةٍ. وكل الذين اتحدوا به قد تغيروا إلى الحياة والطريق الإنجيلي. ولذلك عندما يقول يسوع إنه جاء لكي يكمِّل الناموس، فهو لا يعني أنه جاء لكي يبطل أقوال الآب، وإنما يكمِّل، أي يعيد خلقها μεταπλασμον وما أريد أنْ أقوله هو تحويل الرموز وإعادة خلقها لتكون الحق؛ لأن موسى كان خادم الرموز، أمَّا المسيح، فهو الابن والرب الذي أسَّس العهد الجديد. وأقول العهد الجديد؛ لأنه يجدِّد الإنسان إلى حياةٍ جديدةٍ مقدَّسةٍ، ويؤسِّس طريقاً إنجيلياً لكي يسجد الناس بالروح والحق (فصل ١٧: مجلد ٦٨: ١٠٩٧).

ويستخدم كيرلس الكلمة الشائعة عند الآباء منذ زمن يوستينوس «Πολιτεια"، أي الفرق بين الحياة القائمة حسب الإنجيل، والحياة القائمة على الفرائض، فهي حسب الناموس الموسوي την εννομον πολιτειαν (الحوار مع تريفو: ٤٧).

ورفض العبادة حسب نظام الذبائح هي رفض لبر الناموس، «فالعبادة حسب الظلال قد أُلغيت، والأمور التي هي حسب الرموز قد نزعت؛ لكي نسير إلى البِّر في المسيح الذي يعلِّمنا أنْ نُخلق من جديد لكي نسير في طريق الحياة الإنجيلية εναγγελικη πολιτεια (شرح أشعياء ٤٣: ٢٥ – ٢٦ المجلد ٧٠: ٩١٢).

وحتماً، إن كمال الإنجيل يجعل العبادة القديمة نافلة، بل أيضاً كل ما

يحيط بها، لكن ما هو الجديد الذي جاء به المسيح؟ يقول كيرلس:

«إننا لا نعبد حسب الناموس، وإنما حسب الروح، ولذلك نحفظ عيد المظال بالحق» (تفسير يوحنا ٧: ٨ – مجلد ١: ٥٨٨).

والحق يعني عند كيرلس:

«كل الأشياء جديدة في المسيح الخدمة (العبادة)، الحياة، والناموس، بل إننا لا نتمسك بالرموز الزائلة والظلال غير النافعة، وإنما نعبد الله بالروح والحق» (تفسير أشعياء ٦٥: ١٦ – ١٨ مجلد ٧٠: ١٤١).

وفي الفصل الثاني من كتاب كيرلس «السجود وعبادة الله بالروح والحق» يقول:

«إن كل ما في الناموس هو جسدي ورمزي، وإنه أُكمل بالروح، وإننا نعمل كل ما أوصى به الروح القدس في الناموس ولكن بشكل روحي» (فصل ٢: مجلد ٦٨: ٢٥٣).

وعلى اعتراض بلاديوس بأن نص متى ٥: ١٧ – ١٨ يتعارض مع يوحنا ٤: ٢٣ – ٢٤ يجيب كيرلس بأنَّ «النصَّ المقدس في يوحنا يدعونا إلى أنْ نبتعد عن الناموس والعادات القديمة، وأن لا نهتم بالبر حسب الناموس لأن بولس يكتب: «لقد انفصلتم عن المسيح أنتم الذين تريدون أن تتبرَّروا بالناموس لقد سقطتم من النعمة » (غلاطية ٥: ٤). ويضع بلاديوس (فيلبي ٣: ٧ – ٩) مع (عبرانيين ٧: ١٨ – ١٩)، ثم يسأل مستوحياً سؤاله من نص العبرانيين إذا كان العهد الأول بلا ضعف، فلا يكون مجالاً للثاني؟ (فصل ١ مجلد ٦٨: ١٣٦)، فإذا كان الناموس عاجزاً لماذا قال المخلص إنه جاء لكي يكمِّل الناموس (فصل ١ مجلد ٦٨: ١٣٧)، فهل من تناقض بين بولس والمسيح؟

يقول كيرلس رداً على ذلك:

«إنَّ العهد الجديد هو أُخٌ (في اليونانية أخت) وقريبٌ لكل الأشياء التي قيلت في القديم بواسطة موسى الحكيم، بل إنَّ العهد الجديد مكوَّنٌ من نفس العناصر. والحياة في المسيح ليست مختلفة بالمرة عن الحياة حسب الناموس، وإذا فسَّرنا الوصايا القديمة روحياً لا نجد أي مشكلة؛ لأن الناموس هو رمزٌ وظلٌّ لحياة النفوس التي لا زالت في آلام الولادة، ولا زال جمال الحق مختفياً فيها».

ويكمل كيرلس رده:

«إنَّ بولس يقول إن اليهودي الحقيقي ليس في الظاهر، ولا الختان الحقيقي بقطع اللحم، بل اليهودي هو في الخفاء والختان الحقيقي في القلب روحياً وليس حرفياً والذي مدحه من الله وليس من الناس (رومية ٢: ٢٨ – ٢٩).

ويكمل كيرلس:

«هل أنت تظن أنَّ الناموس قد أُلغي لأننا لا نمارسه؟ وتذكر كلمات بولس «إننا لا نلغي الناموس بالإيمان. حاشا. بل العكس نثبِّت الناموس» (رومية ٣: ٣١)، ولكن ما معنى ذلك؟ الناموس يؤدي بنا إلى المسيح، ولذلك هو يقودنا إلى سر المسيح، ونحن نؤمن أنَّ الأشياء القديمة التي أخذناها بواسطة موسى والعادات القديمة كلها هي أساسات وبداية أقوال الله، وإذا تخلينا عن المؤدِّب، فمن الذي يمكنه أن يقودنا إلى سر المسيح؟ وإذا رفضنا أن نتعلم الأساسات والبداية لأقوال الله، فكيف نصل إلى العهد الجديد وهو النهاية؟ أليس المسيحُ هو كمال الناموس والأنبياء حسب شهادة الأسفار

المقدسة؟» (فصل ١: مجلد ٦٨: ١٤٠).

وهكذا لا وقوع في التهوُّد، ولا رفض للناموس مثل الغنوسية، وإنما تغيَّر معنى الناموس بالنسبة لنا.

إن تجديد الناموس *Transformation* إلى العهد الجديد، يشبه – كما يقول كيرلس نفسه – المحاولة الأولى لتشكيل قالب تمثال من الشمع، هذه المحاولة ليست فاشلة وليست فاقدة القيمة، ولكن الفنان يصنع القالب الكامل، وهذا يعني أنَّ القالب القديم قد أعان على تشكيل القالب الجديد؛ لأن الجديد هو الذي يكمل القديم» (فصل ١: مجلد ٦٨: ١٤٠).

ويعود كيرلس ليس في هذا الكتاب فقط، بل في كل تفاسيره للعهد القديم إلى المبدأ المسيحي الأساسي، وهو أنَّ المسيح هو رأس الخليقة الجديدة الذي أعاد الخليقة إلى ما كانت عليه قبل السقوط، أي قبل الناموس.

لقد حدث تجديد الخليقة في المسيح، ولذلك تحوَّلت كل وصايا الله من الحرف إلى الروح، ومن الظل إلى الحق (فصل ٢: المجلد ٦٨: ٢١٣).

ويستخدم كيرلس آدم الثاني كمفتاح يفتح كل أسفار العهدين ويشرح العلاقة بين الناموس والنعمة. هذا المفتاح نراه في الدسقولية في العودة إلى الناموس الطبيعي أي حالة الإنسان قبل السقوط.

ولذلك، السبتُ قد انتهى حسب الحرف، ونحن نحفظ السبت روحياً في المسيح (تفسير أشعياء ٥٨: ١٣ مجلد ٧٠: ١٣٠٠ – تفسير عاموس ٦: ٣).

وكذلك الختان، ففي الرسالة السادسة من رسائل الفصح يقول:

> «هل تظنون أن الختان شيءٌ عظيم، وأساس للعبادة؟ لو كان الختان هاماً إلى هذا الحد لكان قد أُعطى في بدء الخليقة» (رسالة ٦: ٧ مجلد ٧٧: ٥١٦).

إنَّ المجال لا يتسع لأن نناقش كل ما كتبه كيرلس، فهذا صعب. وخلاصة القول إنَّ الخلق الجديد في المسيح يعني تحولاً في كيان الإنسان، وبالتالي تحولاً في الشريعة نفسها. كانت الشريعة ملائمة لحالة الإنسان

الساقط، ولكن الآن أشرقت الحياة الجديدة، فصارت الشريعةُ رمزاً لما جاء به المسيح أي الحياة الجديدة.

على أية حال، لقد صار من الواضح الآن أنَّ النقاش حول الناموس لم يكُف، وأنه موضوع متجدِّد، وهو ما جعل القديس كيرلس يضع هذا الكتاب، بل يعيد الكتابة في موضوع الرموز. فما هي القوى التي جعلت الناموس الموسوي موضوعاً حياً في ذاكرة الكنيسة حتى القرن الخامس.

الفصل السادس

القوى التي تُحرِّك الجَدَلَ حول التطهيرات

أشرنا في القسم الأول إلى الفرق بين قصة الخلق في سفر التكوين، وسقوط الإنسان عند أفلاطون. وفي الحقيقة أن الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة دخلت في الفكر اللاهوتي الشرقي منذ عصر مبكر، ومن المعروف عن العلامة أوريجينوس وحسب رواية *Porphry* أنه درس الفلسفة على يد أمونيوس السقاس *Saccas* (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٦: ف ١٩). وقد نظَّم أوريجينوس عقائد المسيحية لأول مرة في كتاب متكامل، وعلى أساس فلسفة أفلاطون، وهو أكثر الكتب جدلاً في تاريخ الكنيسة، أي كتاب المبادئ *De Princlpnic* وشكراً للعالم الألماني *Koetschau* الذي أعاد أغلب المقاطع اليونانية بعد أنْ كان الاعتماد شبه مطلق على ترجمة روفينوس اللاتينية.

ويؤمن أوريجينوس بأنَّ النفوس وُجِدَت في العالم الروحي قبل أنْ تُوجد في الجسد، وأنَّ هذه النفوس كانت كلها وحدة νασ ويشرق عليهم اللوغوس *Logos* (المبادئ ١: ٨ – ٣). ولكن هذه الكائنات كانت تملك إرادة حرة متغيِّرة، ولذلك شاء البعض أنْ يبقى في الصلاح وتأمُّل الله، بينما قرر البعض أن يحيا حياة كسل وفراغ دون أن يكون له رغبة في الحياة في الصلاح (المبادئ ٢: ٩ – ٢). فسقطوا من العالم الروحي وحُبسوا في الأجساد كلٌ حسب نوعية السقوط والحالة التي انتهى إليها. الذين كانوا عصاةً أكثر من غيرهم سقطوا في الهاوية وصاروا شياطين ولبسوا أجساداً باردةً مظلمة، أمَّا الأقل سقوطاً أي الذين بردت محبتهم لله، ولكن لم تنطفئ تماماً سقطوا على

الأرض ولبسوا نفوساً ψυχαι أي ما هو قابل للبرودة (المبادئ ٢: ٩)[١٨]. وفي النهاية انحلت الوحدة بين هذه الكائنات العاقلة، وصار البعض ملائكةً وشاروبيم وقوات ملائكية أخرى...

أمَّا الذين على الأرض، فقد صاروا بشراً وحُبسوا في أجساد ترابية، وهكذا صار وجودهم في الجسد دعوةً إلى أن يتوبوا شيئاً فشيئاً.

ويقدم أوريجينوس البراهين في أكثر من موضع مستعيناً بالمزامير والأناجيل ورسائل بولس لكي يؤكد صدق تعاليم أفلاطون، ولعل نصه المفضَّل هو المأخوذ من مزمور ١١٩: ٦٧ «قبل أن أتواضع أنا زللت أمَّا الآن فقد حفظت كلمتك'' ويقول إن الزلل حدث في العالم الروحي، ونفس الشيء ينطبق على يوحنا المعمدان الذي عَرِفَ المسيح قبل أن يولد (المبادئ ٢: ١٠).

هذا التعليم مأخوذٌ برمته من كتاب الجمهورية (الكتاب العاشر: 613 E - 621 D). ومن حوار فيدروس (240 A - 257)، وقد حاول العلامة أوريجينوس أن يشرح أسباب المآسي الموجودة في الحياة، وما هي الأسباب التي «تجعل بعض الناس منذ ولادتهم يعيشون عيشةً وضيعةً، ويقيمون في العبودية والبؤس وتحت سيطرة الأقوياء والأمراء والطغاة، بينما البعض يعيش في بحبوحة وحرية. البعض يولد بأجساد قوية وصحة وعافية، والبعض يولد بأمراض وعيوب خلقية. ولماذا أسجل هنا كل مآسي الجنس البشري في قائمة وهي تنال من البعض ويهرب البعض منها» (المبادئ ٢: ٩). ولم يكن أمام أوريجينوس سوى تفسير واحد وهو أن هناك زللاً قد حدث في العالم الروحي، وأن هؤلاء الذين سقطوا في العالم الروحي هم الذين يعانون هنا على الأرض.

ماذا عن القديسين؟ يقول أوريجينوس إنهم لم يرغبوا في المجيء إلى سجن الجسد، ولكن الله أمرهم بذلك لكي يساعدوه في توبة البشر، ومن ضمن هؤلاء أشعياء وأرميا وحزقيال ويوحنا المعمدان (تفسير يوحنا ٢: ٣٠)، وطبعاً المسيح نفسه (عظة ١٢: ٤ على اللاويين).

(١٨) يفسر أوريجينوس كلمة نفس ψυχη من ψυχροσ البرد cold وهو هنا يعتمد على فيلون اليهودي الذي فسر الكلمة على أنها مأخوذة من ψυησ أي ما يبرد De Somn.

أثر الأفلاطونية على النظرة إلى الجسد:

طبقاً للأفلاطونية، الجسدُ عقابٌ، ولذلك هو دنسٌ يلحق بكل إنسانٍ يولد، وحتى المسيح نفسه لم يكن خالياً من الدنس. والعلامة أوريجينوس يميِّز بين الدنس *Sordes* والخطية *Peccatum*. فيقول في العظة ١٤على إنجيل لوقا على ختان الرب:

> ١- لقد مات المسيح، مات عن الخطية (رو ٦: ١٠)، وهو نفسه لم يخطئ لأنه «لم يخطئ ولم يوجد في فمه غش» (١ بط ٢: ٢٢). لقد مات عن الخطية حتى نصبح نحن الأموات، لا نحيا للخطية والرذائل؛ لأن الكتاب يقول عندما مات، متنا نحن معه، وعندما قام قمنا معه. وعندما «اختُتن» في اليوم الثامن، خُتنَّا نحن معه، وبعد هذا الختان تطهَّرنا من دنس حقيقي، ولم يعد لدينا احتياج إلى ختان الجسد. علينا أن نعرف أنه لأجلنا «خُتِنَ». واسمعوا بشارة بولس التي يعلنها بكل وضوح عندما يقول: حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوؤن فيه، هو رأس كل رئاسة وقوة. وفيه قد ختنتم بختان لم يُعمل بالأيادي، عندما نزع بختان المسيح؛ لأننا دُفنَّا معه في المعمودية، وقمنا معه بالإيمان في عمل الله الذي أقامه من الأموات (كولوسي ٢: ٩ - ١٢)، لذلك موته وقيامته وختانه تم لأجلنا ....
>
> ٢- يقول الإنجيل بعد ذلك: ''ولما كملت أيام تطهيرهما حسب شريعة موسى قدموه في أورشليم (لو ٢: ٢٢). تقول هذه الفقرة: ''تطهيرهما'' ما معنى كلمة تطهير؟ ومن هؤلاء؟ ولو كتب تطهيرها، أي تطهير مريم التي

ولدت، فَلَمَا سألنا[١٩]. نحن نقول وبكل يقين إنَّ مريم التي تنتمي إلى الجنس البشري تحتاج إلى التطهير حسب شريعة موسى بعد أن تلد، ولكن حيث أنه قيل أيام «تطهيرهما» فلا مجال للكلام عن شخص واحد هو مريم، بل مريم ويسوع. هل كان يسوع يحتاج إلى التطهير، وهل كان غير طاهر أو تدنَّس بشيء؟ ربما يظن البعض أنني مندفع في الكلام، ويبدو أنني أعالج موضوعاً مخيفاً، ولكن الذي قادني إليه هو قوة كلمات الكتاب المقدس. مكتوب في أيوب «لا يوجد واحدٌ بلا دنس ولو كانت أيامه يوماً واحداً» (أيوب ١٤: ١٤ السبعينية)، وهذه الكلمات لا تقول: ليس أحد طاهر من الخطية، بل ليس أحد طاهر من دنس. والدنس ليس مثل الخطية، وأشعياء يشرح هذا بوضوح عندما يقول: «سيغسل الرب دنس أبناء وبنات صهيون وسيطهر الدم من وسطهم بروح القضاء. سوف يغسل دنسهم بروح الاحتراق» (أش ٤: ٤ السبعينية)[٢٠].

(١٩) راجع نفس الشرح في العظة ٨: ٢ على سفر اللاويين.

(٢٠) حسب شرح علماء الشريعة من اليهود، وهو ما يُعرف بالاسم العبراني: ''المداريش''، أي الدورس، والمفرد ''مدراش''، أي درس أو شرح. نجد أن هؤلاء العلماء كانت لهم وجهة نظر – فيما يخص شريعة التطهير – تختلف عن الأفلاطونية، إذ اعتبروا أن نزيف الدم من الجسد دليل على عدم الصحة، وكان لمس الدم يُعد نجاسةً، أي يبعد الإنسان عن الصلاة والعبادة؛ لأنه ليس كامل العافية والصحة. (مدراش راباه – شرح الربانيين على سفر اللاويين – النص العبراني ص ٣٢٥ – طبعة ١٩٣٣). إذن، الدنس ليس له مدلول أخلاقي روحي حسب الشريعة، بل له مدلول طقسي، وهو تأهيل الإنسان للممارسة المقدسة التي لا يُقدم عليها إلَّا من كان ''سليم'' الجسد. وهذا في حد ذاته كان ظلاً للحقيقة التي سوف تعلن، وهي أن قيامة الرب يسوع سوف تعطي لنا ''الصحة'' و''العافية''؛ لأن تجديد الخليقة نقل صحة الإنسان وسلامة تكوينه من الصحة الجسدية ومن سلامة التكوين الجسداني إلى الصحة الروحية، وهي هبة الحياة الأبدية في يسوع المسيح ربنا (رو ٦: ٢١). وعندما جاء الرب بالمصالحة مع الله رفع كل أحكام الفرائض وسمَّرها في الصليب (كولوسي ٢: ١٤)، ولاحظ أن المسيح رفع كل هذه الأحكام ''من الوسط''، أي لم تعد هي الوسيط بين الله والإنسان.

٣- كلُ نفس تلبس جسداً بشرياً لها الدنس الخاص بها، ويسوع أيضاً تدنَّس، ولكن بإرادته الحرة؛ لأنه أخذ جسداً بشرياً لأجل خلاصنا. ولنسمع بانتباه ما يقوله زكريا النبي، فهو يقول: «لَبِسَ يسوع (يشوع) ملابس دنسة»[٢١] (زكريا ٣: ٣ السبعينية). لقد قال زكريا هذه العبارة لكي يفند تعليم الذين يظنون أن جسد ربنا لم يكن جسداً بشرياً، بل مكوناً من عناصر سمائية (تعليم مارقيون الغنوسي). وانتهز هذه المناسبة لكي أناقش موضوعاً يناقشه الأخوة دائماً: هل يُعمَّد الأطفال لمغفرة الخطايا (أع ٢: ٣٨)؟ وما هي خطية الأطفال؟ ومتى يخطئون وكيف يمكن أن يحفظ الإنسان الكلام عن مغفرة الخطايا حتى بالنسبة للأطفال إلَّا إذا كان التفسير الذي قدَّمناه هو التفسير المقبول «لا أحد بلا دنس ... هذا الدنس يأتي من الميلاد، وهو الذي يُمسح في سر المعمودية، وهو سبب تعميد الأطفال».

كما يعتبر دخول النفس إلى عالمنا هو دخولٌ عقابيٌ، وبالتالي فلا مجال للكلام هنا عن جمال الخليقة أو ما إليه؛ لأن النفس الساقطة تُحبس في جسد.

وفي العظة (٦: ٣ على سفر العدد) يقول أوريجينوس:

«توجد تصرفات كثيرة ليست في حد ذاتها خطية، ولكنها لا تستحق حضور الروح القدس مثل الزواج المشروع وهو ليس نجساً، ولكن لا حضور للروح القدس أثناء العلاقة الزوجية حتى لو كان نبياً هو الذي

(٢١) يشوع = يسوع في اليونانية والعبرانية، وقد ترجم العلامة أوريجينوس اسم يشوع إلى يسوع لأن الرب يشترك مع يشوع في نفس الاسم.

يعاشر زوجته، ومن أجل الإنجاب» (راجع مقالة على الصلاة ٣١: ٤).

وطبعاً من أجل ذلك يؤكد أوريجينوس أن يوم الميلاد لا يليق الاحتفال به، وأنَّ الطغاةَ فقط هم الذين احتفلوا بميلادهم مثل فرعون الذي قتل الساقي، وهيرودس الذي قتل يوحنا المعمدان (تفسير يوحنا ٣: ١٨).

وطبعاً يسأل أوريجينوس:

«يجب علينا أن نبحث عن إجابة على سؤال لماذا تعتبر المرأة التي تقدم أكبر مساعدة لمن يجيء إلى العالم، أي ولادة الأولاد، لماذا تعتبر نجسةً، ليس فقط عندما تتقبل الزرع، بل أيضاً عندما تلد؟ ولذلك تؤمر بأنْ تقدِّم حمامتين أو فرخ يمام ذبيحة خطية، كما لو كانت تحتاج إلى تطهير من خطية لأنها قدَّمت مساعدةً لمن يولدون في العالم ... وأنا لا أريد أن أقول رأياً بصورةٍ محددةٍ حول هذه الموضوعات، ولكنني أشعر بأنَّه توجد قوى غامضة سرية كامنة وراء مثل هذه الوصايا، ويوجد سببٌ خفي وسري يجعل المرأة التي تتقبل الزرع وتلد نجسةً، ولذلك تؤمر التي تلد بأن تقدِّم ذبيحة خطية كما لو كانت مذنبةً». ويستشهد أوريجينوس نفسه بمزمور ٥١: ٥ وأيوب ١٤ : ٤ ثم يقدم ضرورة تعميد الأطفال كبرهان على أنَّ الإنسان يولد بدنس. (عظة ٨: ٣ على سفر اللاويين).

هكذا عَمِلت الأفلاطونية – بطريق خفي – على بعث الممارسات اليهودية حتى عند الذين لم يكن لهم علاقة باليهودية سوى قراءة الكتب المقدسة لا سيما سفر اللاويين.

وبعد هذا علينا أن نتوقع المزيد من التطرف عند أشخاص آخرين مثل

ديديموس الضرير، وهو أيضاً تبنى نظرية أفلاطون في سقوط الإنسان، وشرحها بتوسع في تفسير سفر التكوين الذي اكتُشِفَ حديثاً في طره في صحراء مصر. ومثل أوريجينوس سقط ديديموس أسيراً للفكر اليوناني. فديديموس يعتقد أنَّ الخطيةَ تنتقل بالوراثة، وبشكلٍ واضح، في العلاقة الزوجية. وهو على وعي تام بأنَّ هذا هو تعليم المانيين *Manicheans* ولكنه غير قادر على أن يميِّز بين الزيجة في المسيحية ورفض الزواج في المانوية. والنتيجة في الحقيقة واحدة، فلا فرق بين سقوط الإنسان في العالم الروحي وانحداره بعد ذلك لكي يُحبس في الجسد، وبين تعليم ماني بأنَّ الجسدَ هو مصدر الخطية، فلا يمكن التفريق إذا نظرنا إلى النتيجة النهائية؛ لأن الخلاص في الافلاطونية هو مثل الخلاص عند ماني، وهو أنْ يتحرر الإنسان من جسده تماماً.

يقول ديديموس الضرير:

> «لو كان المسيحُ قد أخذ جسده من اتحاد الزيجة وليس بطريق آخر، فإننا سوف نستنتج من ذلك أنه لحقه خطية، وبعض الخطية التي لحقت كل نسل آدم الذين تناسلوا منه. ولكن إذا قال المانيون «إن جسد الخطية هو الذي يولد من علاقة الرجل والمرأة وتبعاً لذلك الزواج شرير»، فعليهم أنْ يعرفوا أنه قبل مجيء المخلِّص الذي حمل خطية العالم، فعل البشر كل الشرور وكانوا يتزوجون في الخطية. ولأن الأجساد تولد كثمرة منذ أنْ اجتمع آدم وحواء بعد السقوط، لذلك دُعي الجسد باسم «جسد الخطية» ... ولكن بعد أنْ حلَّ المخلِّص في العالم، وحمل خطايا العالم وكل شيء فيه، كذلك الزواج أيضاً. ولكن من جانب آخر يمكن أنْ نقول إنَّ البتولية هي بالطبيعة إلهية، بل أنها تُحسب ضمن الفضائل. ولكن إذا قارن أحدٌ بين البتولية والزواج،

فإنَّ الأخير يمكن أنْ يقال إنه خطية، ولكن ليس خطيةً بشكل مطلق» (ضد المانيين: ٨ مجلد ٣٩: ١٠٩٠).

ومما لا شك فيه أن كلاً من الأفلاطونية والمانوية وجدت من يدافع عنها، ومن يستخدم نصوص الكتاب المقدس في تأييد نظرتهما الخاطئة للجنس والزواج والولادة الخ. وهنا تمتزج القوى المتعارضة أصلاً، ولكن يجمعها وحدة الهدف، وهو ضرورة التخلُّص من الجسد والقضاء عليه. ولذلك أصبح التعليم المسيحي وحيداً في مواجهة التيارات المضادة للإنجيل، وأصبح الإنجيل هو وحده الذي يعلن تقديس الجسد والنفس.

ولكن كيف يمكن للتعليم المسيحي أن يعيش وحده في بيئة تعارضه؟ إنَّ الموقف – بلا مبالغة – كان حاداً وعنيفاً وإلَّا لماذا يضطر القديس كيرلس السكندري في شرحه لإنجيل يوحنا أنْ يوجِّه نقداً عقائدياً عنيفاً للفكرة الأفلاطونية عن سقوط الإنسان؟ لو كانت الأفلاطونية قد ماتت تماماً، فلماذا يكتب كيرلس بهذا التوسع؟ ولماذا يحاول أن يحشد أكبر عدد ممكن من الاعتراضات على الأفلاطونية؟ أليس لأن الأفلاطونية وجدت طريقها إلى الناس؟ أوليس لأن الأفلاطونية كانت قد تحصَّنت في كتابات أوريجينوس وديديموس الضرير؟

إنَّ نظرةً شاملةً على اعتراضات كيرلس السكندري، وعلى ما ذاع من أفلاطونية في وسط الكنسية ضرورية جداً لفهم التحولات التي كانت قد طرأت على الفكر اللاهوتي الشرقي[٢٢] وهذا ما يجعلنا نقدم هنا الـ ٢٤ اعتراضاً للقديس كيرلس على التعليم الأفلاطوني كما قدَّمه كتاب المبادئ للعلامة أوريجينوس:

---

(٢٢) يمكن أن نرى آثار الأفلاطونية كما قدمها أوريجينوس في الصلاة الأثيوبية التي تنسب خطأً إلى أثناسيوس الرسولي "يا من تخرج الطفل من صلب الإنسان وترسله إلى بطن المرأة وتغلفه بغلاف رقيق جداً وعندما يكون لا زال ماء تجمده بحكمتك وتنفخ فيه نسمة حياة وفي اليوم الأربعين تقرر مصيره إما إلى الهلاك أو البر والغنى أو الفقر" (القداسات الأثيوبية – ص ١٨٨ ترجمة القس مرقس داود – القاهرة ١٩٥٩).

«يقول البعض، وهم في الحقيقة يتفوَّهون بما في قلوبهم، لا بما ينطق به فم الرب، كما هو مكتوب (ارميا ٢٣: ١٦) إنَّ نفوس البشر كان لها وجودٌ سابقٌ على وجودها في الجسد، وكانت لذلك في السماء، وإنَّ هذه النفوس عاشت زمناً طويلاً بدون الجسد في سعادة متنعمة بطهارة بالإله الحق.

ولكن عندما مرت عليهم فترة فقدوا فيها هذه السعادة امتلأوا من الأفكار الغريبة والمشاعر الغامضة، فنـــزلوا إلى أسفل، ولما لم يُسرَّ بهم الخالق أرسلهم إلى العالم، وحبسهم في أجسادٍ ترابيةٍ لكي تشتد عليهم وطأة ثقل الجسد. حبسهم في كهفٍ مملوء بالغرائب واللذات. وقرر الخالق أنْ يعلِّمهم من المحنة نفسها ما هي حقيقة مرارة الابتعاد عن الله والاستخفاف بما هو صالح. وكبرهان على هذه الخرافة الغبية يقدمون النص الذي نشرحه الآن «كان هو النور الذي يضيء كل إنسان آت إلى العالم»، وبالإضافة إلى ذلك يقدمون من الأسفار الإلهية قول المزمور «قبل أن أتواضع أنا ذللت» (١١٩: ٦٧)، وبدون أن يخجلوا من هذا الاختراع السخيف يقولون إنَّ النفس تقول إنها سقطت أي قبل تجسدها، ولذلك عوقبت النفس بالعدل وربُطت بالموت والفساد الذي ينسبه بولس إلى الجسد قائلاً: «ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت» (رومية ٧: ٢٤)».

(ك ١: فصل ١: ٩ شرح يوحنا ١: ٩ مجلد ١: ٩٠).

ومما لا شك فيه إن كتاب المبادئ وتعليم أوريجينوس وأفلاطون هو التعليم الذي يراه كيرلس منافياً للعقيدة. وبالفعل كان العلامة أوريجينوس قد

استخدم مزمور ١١٩: ٦٧ لتأكيد وجود النفس قبل أن تحبس في الجسد، ولكن ما هو جديدٌ هنا هو استخدام يوحنا ١: ٩ فهل هذا الدفاع يقدمه أوريجانيون؟

يفند القديس كيرلس هذا الرأي على هذا النحو:

«إن هذا التعليم يصطدم بعقائد الكنيسة، وهؤلاء إنما يجمعون زبالةً ضخمةً، تسد آذان المؤمنين، ويُخفون هذه الزبالة تحت غطاءٍ من نصوص الكتاب المقدس ... ولكي نبرهن على أنَّ هذا غير معقول، وأنَّ وجود النفس قبل وجودها في الجسد هو غير ممكن، ومستحيل أنْ تكون وُجِدَت في الجسد، وبسبب عصيانٍ قديم حُبِسَتْ في الجسد على الأرض، سوف نجاهد على قدرِ طاقتنا، وبعدة براهين سوف نثبت فساد هذا الرأي، وكما هو مكتوب أعطي معرفةً للحكيم فيزداد ... وعلِّم الصديق فيزداد علماً (أمثال ٩: ٩).

١- لو كانت نفس الإنسان موجودةً قبل أن توجد في الجسد، وأنها مالت إلى الشر - حسب تعليم البعض - وعوقبت على عصيانها بالنـــزول إلى الجسد، خبِّروني كيف يقول الإنجيلي عن اللوغوس: «كان هو النور الذي ينير كل إنسان آت إلى العالم»؟ لأن الاستنارة هي كرامة وعطية تضاف إلى الإنسان.

وهو لا يعاقب بالكرامة ولا بأنْ ينال الصلاح الإلهي، بل بنوال العقاب الذي يستحقه وغضب الديان. ولكن حيث أن الإنسان الذي يأتي إلى العالم ليس موضوعَ غضبٍ، بل العكس يستنير، فمن الواضح أنه كُرِّمَ بالجسد ولم يأخذ الجسد كعقاب.

٢- برهانٌ آخر: لو كان للنفس عقلٌ ظاهرٌ قبل الجسد وعندما ابتعد عن الله سقط، ولذلك حُبِسَ في الجسد، فكيف يستنير عند دخوله إلى العالم؟ لأن من الواجب علينا أن نقول إنَّ العقل في حالة السقوط سوف يكره النور قبل مجيئه في الجسد، وإذا صَحَّ هذا، فكيف أمكن إنارة العقل وهو ساقطٌ ومحبوسٌ في الجسد؟ أمَا كان بالأولى إنارته قبل أن يُحبس في الجسد؟

٣- برهان آخر: لو كانت نفسُ الإنسان كائنةً قبل أنْ توجد في الجسد، وكان العقل في هذه الحالة نقياً ملتصقاً بشكل طبيعي بالصلاح، وعندما سقط هبط إلى ما هو أسوأ ونزل إلى الجسد الترابي، وبذلك لم تعد له الإرادة على مقاومة الخطية، فكيف يمكن محاسبة الإنسان على خطاياه، إنْ كان قد سقط بدون الجسد، وبدونه كان له اشتياق أكثر للصلاح، فكيف وهو الآن في عبودية، لا سيما الشرور التي تنبع من الجسد؟

٤- ما هو السبب (أنا أتردد في سؤالهم لأن هذا السؤال بلا إجابة) الذي يجعل النفس التي أخطأت قبل أنْ توجد في الجسد، أنْ تُرسل إلى الجسد؟ هل لكي تتعلم وتختبر شناعة خطاياها؟ أنهم لا يخجلون من أن يقولوا ذلك. ولكن من الواضح أنه كان من الأجدر أن تُحجب النفس عن شهوات الجسد، لا أنْ تلقى في الجسد، وفي أعماق اللذات؛ لأن الدواء الشافي ليس الجسد، بل البقاء بعيداً عن الجسد. ولكن البقاء في الجسد كان في الواقع إضافة أمراض جديدة نابعة من الجسد ولذَّاته، وهو ما لا يدعو إلى الإعجاب بالطبيب الذي يصيب المريض

بأمراضٍ كثيرةٍ بما قرره له كدواء. وإذا كان حبسُ النفس في الجسد معناه أنَّ النفس سوف تعود عن اللذة، فكيف بعد أن نزلت إلى أعماق اللذة؟ كيف تعود إلى ما كانت عليه من البدء وهي الآن في أعماق اللذات؟

٥- لو كانت النفس قد أخطأت قبل أنْ توجد في الجسد، ولذلك حُبِسَت في الجسد في اللحم والدم كعقابٍ لها، فكيف لا يكون الواجب الأول للذين آمنوا بالمسيح ونالوا غفران الخطية أنْ يخلعوا الجسد ويتركوه؟ خبِّروني كيف تنال النفس غفراناً كاملاً وهي تظل حاملةً أداة العذاب؟ ولكن ما نراه هو أن الذين يؤمنون هم أبعد ما يكون عن الرغبة في التحرر من الجسد، وبالاعتراف بالمسيح يطلبون قيامة الجسد. هذا يسقط صفة أداة التعذيب عن الجسد؛ لأنه يكرَّم بالاعتراف بالإيمان، ويشهد الجسد بعودته للحياة لقوة المخلص الإلهية، فهو قادر على أن يقيم كل شيء.

٦- لو كانت النفس في وجودها السابق على الجسد قد أخطأت ولذلك حُبِسَت في الجسد، فلماذا يأمر الناموس بمعاقبة الخطايا الثقيلة بالموت؟ هل هذا إكرام؟ ولماذا يُسمح لمن لم يخطئ بالحياة؟ إنني أفترض أنه كان من اللائق أنَّ الذين اخطئوا خطايا ثقيلة أنْ يعيشوا؛ لأن الحياة في الجسد هي في حد ذاتها عقاب، والذين لم يخطئوا هم الذين يحرَّرون من الجسد بالموت، وإنما لأن العكس يحدث، فالذين يقتِلون يعاقَبون بالموت، والأبرار لا يحاكمون بالموت، ولذلك فإن حالة الوجود في الجسد ليست عقوبة.

٧- لو كانت النفوس تجسَّدت بسبب خطايا سابقة واخترع الجسد بطبيعة تؤهله ليكون عقاباً للذين أخطئوا فكيف أفادنا المخلص برفع الموت؟ ألا تكون هذه رحمة فاشلة؟ ولذلك يمكن أنْ نقول إنه كان من اللائق أنْ نقدم الشكر للفساد وليس لمن أقامنا من الموت، وبذلك جعل لا نهاية للعذاب بالقيامة من الموت. ولكن مع هذا نحن نقدم الشكر لمن أطلق سراحنا من الموت والفساد في المسيح. هذا ما يجعل وجودنا في الجسد ليس عقاباً لنفس الإنسان.

٨- برهانٌ آخر يعتمد على نفس الفكرة: لو كانت نفوس البشر حُبست في أجساد أرضية لكي تفي خطايا قديمة، فما هو الشكر الذي نقدمه لله الذي وعدنا بالقيامة؟ لأن القيامة تعني تجديداً للعقوبة وبناءاً للضرر؛ لأن العقوبة الدائمة هي مرارة لكل نفس. هذا يجعل من المستحيل أن تقام الأجساد لكي تؤدي وظيفة عقوبة للنفوس المعذبة.

ولكن الأجساد تأخذ طبيعة القيامة من المسيح كعطية للتجديد والفرح بالقيامة. الوجود في الجسد إذا ليس عقوبة.

٩- الكلمات النبوية تبدو كما لو كانت تبشِّرنا بعيد عظيم طال انتظاره وهي تقول: إنَّ الأموات سيقومون والذين رقدوا في القبور سيحيون (أشعياء ٢٦: ١٩ – السبعينية)، ولكن لو كان الوجود في الجسد هو عقابٌ للنفوس الشريرة التي أخطأت، فكيف لا يحزن النبي وهو يبشِّر بالقيامة كعمل إلهي؟ كيف تكون هذه البشارة

مفرحة وهي تخبرنا بأن الحمل الثقيل الذي نروم أنْ نتخلص منه سيطول؟ كان من الأجدر بالنبي أنْ يقول لمن أخذ جسداً كعقوبة، وكان النبي سيفرح أكثر إذا قال إنَّ الموتى لن يقوموا، وإنَّ طبيعة الجسد العقابية سوف تزول، ولكن العكس فهو يبشر الذين ماتوا ويخبرهم بقيامة الجسد بإرادة الله. فكيف يكون الجسد الذي نفرح بقيامته – بقوة الله – عقاباً. وكيف تكون المسرة الإلهية (حسب رأي المخالفين) في بقاء العقاب؟

١٠– عندما بارك الله إبراهيم المبارك، وعده بأن يكون نسله لا يحصى من الكثرة مثل النجوم. فلو كان صحيحاً أنَّ النفوس أخطأت قبل أنْ توجد في الجسد ولذلك هبطت إلى الأرض وحبست في الجسد لكي تعاقب، فإن الله في هذه الحالة يكون قد وعد إبراهيم البار بكثرة من المعاقَبين سقطوا من الصلاح، وليس بالأعضاء المشتركة في البركة. ولكن الله وعد إبراهيم بكثرة النسل وكانت هذه هي البركة. إذن بداية تكوين الجسد حرة من كل لوم.

١١– لقد انتشر الإسرائيليون وتكاثروا وصار عددهم لا يحصى. وحقاً يتعجب موسى رئيس الأنبياء وهو يلاحظ كثرتهم ويصلي ويقول لهم: ها انتم اليوم مثل نجوم السماء في الكثرة والرب إله آبائكم سوف يجعلكم ألوف وألوف أكثر مما أنتم اليوم (تثنية ١: ١٠ – ١١)، ولو كان عقوبةً لنفوس البشر أنْ توجد في العالم في أجساد وهم يحتاجون إلى الجسد طالما أنهم من العالم ولا يمكنهم أن يعيشوا بدون أجساد، فإن صلاة موسى ستصبح في هذه الحالة حقاً لعنةً لا بركةً، وهذا غير

صحيح؛ لأنها فعلاً كانت بركة. إذن الوجود في الجسد ليس من طبيعة العقاب للنفس.

١٢- إن الذين يسألون الشر من الله لا يستجيب الله لهم. والشاهد على صحة ما نقول هو تلميذ المخلص الذي يقول:«تطلبون ولا تأخذون لأنكم تطلبون رديا» (يعقوب ٤ :٣)، فلو كان الوجود في الجسد عقاباً، فكيف لا يقول أي إنسان إنَّ حنة وألقانة طلبا رديا، خصوصاً حنة التي كانت تسكب صلاتها لله وتطلب منه ولداً (١صموئيل ١: ١١). ألم تكن تطلب سقوط نفس لكي تحبس في جسد؟ وكيف استجاب الله لطلب شريرٍ مثل هذا وأعطاها صموئيل ابناً لها طالما أنه كان من اللازم أن تخطئ نفسٌ لكي تحبس في جسد ويولد صموئيل، وهذا يعني استجابة صلاة حنة؟ ولكن الله أعطى، وهو بطبيعته لا يعطي إلَّا ما هو صالح. واستجابة صلاة حنة تؤكد أنَّ الجسد ليس عقاباً؛ لأن الله لا يعطي إلَّا الصلاح، لذلك فالوجود في الجسد ليس نتيجة الخطية، ولا بطبيعته عقاب كما يقولون.

١٣- لو كان الجسدُ قد أعطى عقاباً للنفس البشرية، فما الذي دفع الملك حزقيا ملك أورشليم، وهو رجلٌ صالحٌ وحكيمٌ لأن ينوح بدموع مرَّةٍ لموت جسده، ولماذا يتردد في التخلُّص من أداة العقاب، لا بل يتوسل بأن يكرِّمه الله بزيادة عمره، مع أنه كان يجب عليه أنْ لا يكره الموت ما دام رجلاً صالحاً؛ لأنه كان سوف يتخفف من حمل الجسد الثقيل، وكان بالحري سيفرح بموته. ولكن بماذا وعده الله كهبة خاصة به: «ها أنا

قد أضفت خمسة عشر سنة (أشعياء ٣٨: ٥). فهل كان ذلك الوعد عقوبةً تضاف إلى عقوبة الجسد نفسه؟ وهل تعتبر هذه عطية أو نوعاً من الرأفة؟ ولكن الوعد من فوق كان عطيةً وإضافة العمر كان رأفةً، ولذلك الوجود في الجسد ليس عقوبة للنفس.

١٤- لو كان الجسدُ قد أعطى لنفس الإنسان كعقوبةٍ، فما هو المعروف الذي صنعه الله مع الخصي الذي أنقذ ارميا من الجب؛ لأنه قال له سوف افتدي حياتك وأخلِّصك من يد الكلدانيين (ارميا ٢٩: ١٧ - ١٨)، وكان الأولى به أن يقول له سوف أتركك تموت، وهذا كرم من الله؛ لأنه سوف يخلِّصه من السجن والعذاب. وماذا أعطى الله للفتية الثلاثة من بني إسرائيل عندما خلَّصهم من النار ومن قساوة البابليين؟ ولماذا أنقذ دانيال من جب الأسود؟ ألا يفعل الله كل هذا برأفة لكي يتمجد اسمه بين البشر؟
ولذلك، المسكن، الجسد ليست نوعاً من العقاب لئلا نعجز عن إدراك الفرق بين الكرامة والعقاب عند الله.

١٥- يخبرنا بولس بأنه سيكون يومٌ للفحص أمام كرسي الدينونة الإلهي، وإن كل إنسان سوف يظهر أمام كرسي القضاء أمام المسيح لكي ينال ما فعله في الجسد سواء أكان خيراً أم شراً (١كورنثوس ٥: ١)، ولو كانت الدينونة على ما فعله الإنسان في الجسد، فإنه لا توجد إشارة إلى خطايا سابقة قبل الوجود في الجسد ولا سؤال عما حدث قبل مولده، فكيف يكون للنفس وجود سابق على وجودها في الجسد. وكيف زلَّتْ

بسبب الخطية كما يقول البعض؛ لأن الدينونة على ما فعله الإنسان في حياته على الأرض.

١٦- لو كانت النفوس قد لبست أجساداً بسبب خطايا سابقة، فكيف يكتب بولس قائلاً لنا: «قدموا أجسادكم ذبيحةً حيةً مقدسةً ومقبولةً لدى الله» (فيلبي ٤: ١٨). وكيف يكون هذا مقبولاً لدى الله وهو أداة العقاب؟ وكيف يكون من الممكن أن يقتني الإنسان فضيلة وهو مقيم في أداة العقاب وأصل الخطية؟

١٧- يقول بولس موضِّحاً أن الفساد قد انتشر وامتد إلى كل جنس آدم بسبب عصيان آدم وملك الموت من آدم إلى موسى حتى على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (رومية ٥: ١٤)، فكيف يقول إنَّ الموت ملك حتى على الذين لم يخطئوا، إذا كان الجسد الميت قد أعطى لنا بسبب خطايا سابقة؟ وأين هؤلاء الذين لم يخطئوا؟ فلو كان الوجود في الجسد هو عقاب على خطايا سابقة لأن وجودنا في الجسد في هذه الحياة يتعارض مع قول الرسول. إنَّ قول المخالفين ينم على عدم دراية بالأسفار المقدسة".

١٨- سأل التلاميذُ مرةً المخلِّص عن المولود أعمى وقالوا: «يا سيد من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى (يوحنا ٩: ٢)؟ لأنه مكتوب في الأسفار النبوية إنَّ الله يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء (خروج ٢٠: ٥)، وهو ما دعا التلاميذ إلى إن يتصوروا أنَّ هذا الكلام ينطبق على المولود أعمى. وماذا كانت إجابة المسيح؟ الحق أقول لكم لا هذا أخطأ ولا أبواه، بل لكي تظهر أعمال الله

فيه (يوحنا ٩: ٣)، فكيف أعفى المسيح المولود أعمى وأبواه من الخطية وهم في الواقع لا يمكن إعفائهم من اللوم الذي ينسب لكل حياة بشرية لأنهم كبشر كانت لهم أخطائهم، ولكن من الظاهر والواضح أنَّ كلمات المخلص تعني الفترة التي تبدأ قبل الميلاد أي أنهم لم يكونوا موجودين، ولذلك لم يخطأوا وهذا وحده يجعل المسيح على حق.

١٩- يشرح أشعياء المبارك سبب خلق الأرض ويقول: «لم يخلقها عبثاً بل صورها لتكون سُكنى» (٤٥: ١٨)، ولما كان من الصالح أن تكون الأرض للسكن ودون أن تمتلئ بأرواح بلا أجساد وإنما بنفوس لها أجساد، فهل كانت المشورة الإلهية أن تخطئ النفوس لكي تُخلق الأجساد بهذه الطبيعة اللحمية التي لا تصلح إلَّا للأرض؟ ألا يؤدي كلام المخالفين إلى أن الأرض خُلقت عبثاً كسجن للنفوس؟ ولكن هذا غير معقول ... والفكرة الصائبة هي التعليم الصحيح.

٢٠- الحكمةُ صانع كل الأشياء يقول عن نفسه في سفر الأمثال: «كنت أنا فَرَحَه»، أي خالق الأشياء «وكل يوم كنت أفرح أمامه عندما فرح بكمال خلقة العالم ووجد لذته في بني البشر» (٨: ٣٠ - ٣١ السبعينية). ومتى فرح الله بانتهاء خلقة العالم وفرح بشكل خاص بخلق الإنسان؟ وكيف لا يكون بلا أي إدراك مَن يحاول أن يُخضع النفوس لخطايا سابقة جعلتها تُسجن في الجسد؟ ألا يكون الله خالقاً لسجن وليس للعالم؟ ألا يكون مسروراً بلا سبب؟ وكيف يفرح بمجيء الذين خطئوا

لكي يعذَّبوا في الجسد؟ وكيف يكون صالحاً في هذه الحالة؟ ولكن بكل يقين هو صالح وخالق الصلاح، ولذلك الوجود في الجسد ليس بطبيعته عقاباً.

٢١- لو كانت نفس الإنسان قد رُبِطَت بالجسد لكي تدفع ثمن خطاياها السابقة على ميلادها في العالم، والجسد هو بمثابة عقاب، فلماذا جاء الطوفان على العالم الشرير (٢بطرس ٢: ٥)، ونوح البار هو الذي خلص ونال مكافأته على إيمانه بالله؟ ألم يكن الأفضل أنَّ الذين عاشوا في الشر أن يبقوا في الأرض ليعيشوا فترةً أطول في الجسد لكي يعاقبوا أكثر وبشدة، أمَّا الأتقياء الصالحين فيُحَلِّون من رباطات الجسد مكافأةً لهم على مخافتهم لله؟ ولكن خالق الكل هو بار ويعطي كل واحد حسب عمله، ولأنه بار، فهو يعاقَب الخطاة بموت الجسد، ويفرِّح قلوب الصديقين بالحياة في الجسد.
لذلك، الأجسادُ ليست عقوبةً لنفوس البشر لئلا يصبح الله غير عادل يعاقب غير الصالحين بالموت وهو خير، ويكرِّم الأبرار بالحياة وهو عقاب.

٢٢- إذا كان جزاء خطايا سابقة اقترفتها النفس، فنـــزلت إلى الجسد واللحم والدم، فكيف أحبَّ المخلص لعازر (يوحنا ١١: ٣٦)، وأقامه من الموت، وبذلك أرغمه على العودة إلى العقاب الذي تحرر منه بالموت؟ ولكن المسيح أقامه وساعده كصديق وأكرمه بأن أقام الميت وردَّه إلى الحياة. هكذا لا يوجد أي هدف مقدس وصالح في تعليم المخالفين.

٢٣- إن غباء الذين يقولون إنَّ الجسدَ أُعطي للنفس كعقاب وبسبب خطايا سابقة لخلق الجسد، ظاهرٌ، فمن الواضح هنا أن الخطية هي التي أعطت طبيعة الأجساد كعقاب. في حين أنَّ الموت دخل بواسطة الخطية (رومية ٥: ١٢)، وهذا يجعل الخطية تتسلح ضد نفسها وتحارب نفسها؛ لأنها تهدم ما جاءت به في البدء أي الجسد بما جاءت به بعد ذلك أي الموت، وبهذا يصبح الشيطان منقسماً على نفسه، فكيف تدوم مملكته (لوقا ١١: ١٨) كما قال المخلص؟ وبكل يقين إن هذا الفكر ساذج وغير معقول والتعليم الصحيح هو الحق.

٢٤- لقد خلق الله كل شيء في عدم فساد، وهو لم يخلق الموت بل دخل الموت بحسد إبليس (حكمة ١: ١٣ ، ٢: ٢٤). ولو صَحَّ أنَّ الجسدَ أُعطي لكي يكون عذاباً للنفس، فلماذا - خبِّروني يا سادتي - نتهم الشيطان بالحسد؛ لأنه - حسب تعليم المخالفين - يكون الشيطان خير عون؛ لأنه ينهي شقاوة وعذاب الجسد بالموت؟ ولماذا إذن نقدِّم الشكر للمخلِّص لأنه بالقيامة ربطنا بالجسد؟ ولكننا نقدم الشكر للمسيح لأنَّ حسد الشيطان هو الذي اذللنا وتسبب في فساد أجسادنا. إذن لم يكن عقاباً بالمرة أنْ يكون لنا جسداً، وليس هو أجرة خطايا سابقة».

لسنا في مجال تحليل الـــ ٢٤ اعتراضاً على وجود النفس قبل أن توجد في الجسد، وإنما ما أبرزه القديس كيرلس هو التعليم المسيحي الذي لا يمكن تفسيره أو شرحه إلَّا بالتراث المسيحي نفسه؛ لأن غير ذلك يؤدي إلى نتائج روحية وعقائدية تصطدم بشكل مباشر مع رسالة الإنجيل.

وكيرلس يعي تماماً التقليد المسيحي. وهذا الوعي هو الذي دعاه إلى رفض ما استقر في كتابات الذين سبقوه، ومن هنا يمكننا الاستعانة بكيرلس السكندري كشاهد على التقليد الرسولي، وبشكل خاص كانسان يعي التيارات غير المسيحية في التراث المسيحي نفسه.

كيف يفهم كيرلس الزواج، وكيف يراه في إطار معجزة قانا الجليل؟

في شرحه لإنجيل يوحنا ٢: ١ – ٣ يقول القديس كيرلس:

«التوقيت مناسب جداً، وبشكل مطوَّل، يصف يوحنا بداية المعجزات. وعلى الرغم من أنَّ هذا يبدو كما لو كان غير مقصود إلَّا أنَّ العكس واضح.

كان عرسٌ ووليمة، ويوحنا يريد أنْ يقول لنا إنَّ هذا في حد ذاته شيءٌ مقدسٌ، حضرته أم المخلِّص، وهو أيضاً – بعد إلحاح – جاء إلى العرس مع تلاميذه لكي يقوم بالمعجزة، وليس لكي يتمتع بمباهج الوليمة معهم، وإنما بالأكثر لكي يقدِّس بداية الجنس البشري. وأنا أعني – بشكل خاص – ما يخص الجسد. وكان من اللائق أنَّ الذي جاء لكي يجدِّد طبيعة الإنسان ويعيد خلقتها من جديد وبالكامل إلى ما هو أفضل، إلَّا يمنح – فقط – بركته لمن دعاهم من العدم إلى الوجود، بل أنْ يهيئ أيضاً نعمةً للذين سيولدون ويجعل مجيئهم إلى العالم مقدساً.

ويوجد سببٌ ثالثٌ: لقد قيل للمرأة من قِبَل الله بالحزن تلدين أولاداً (تكوين ٣: ١٦)، فكم كانت الحاجة إلى أنْ نخلص من هذه اللعنة أيضاً، وإلاَّ كيف يمكن أنْ نهرب

من الحكم على الزواج بأنه لعنةٌ. ولأن المخلص محب البشر رفع هذه اللعنة أيضاً؛ لأنه هو مسرة وفرح الكل، وهذا ما جعله يكرِّم الزواج بحضوره لكي يطرد العار κατηφε القديم أي الخاص بالحبل وولادة الأولاد.

ولأنه إذا كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، والعتيق قد مضى بعيداً كما يقول الرسول (٢كورنثوس ٥: ١٧)، لذلك جاء مع تلاميذه إلى العرس، وكانت الحاجة أنْ يأتي الذين يحبِّون المعجزات لكي يشاهدوا صانع المعجزات، ويجمعوا من معجزاته ما يصبح غذاءً لإيمانهم" (ك ٢: فصل ١ – مجلد ١ – ص ١٥٥).

من الواضح أن هذا الشرح يعتمد على (٢كورنثوس ٥: ١٧): «إنْ كان أحدٌ في المسيح، فهو خليقة جديدة»، ومع أنَّ موضوع الخليقة الجديدة وآدم الثاني هو أكبر من أن يُعالَج في هذه العجالة السريعة، إلَّا أننا لا نستطيع أن نترك نص إنجيل يوحنا كما شرحه كيرلس يمر دون أن نؤكد أنه ليس مجرد ملاحظة عابرة أو شاردة لا مجال لها في شرحه لعقائد الإيمان الأخرى.

ولكي يزيد القديس كيرلس الأمر وضوحاً، يستطرد في شرح (يوحنا ٢: ٧ – ١١)، فيقول:

«أشياءٌ كثيرةٌ تَمَّت معاً وفي وقتٍ واحد في أول معجزة: الزواج المكرم صار مقدساً، واللعنة التي وُضِعَت على المرأة رُفِعَت، ولم يعد مجال للكلام عن «بالحزن تلدين الأولاد» (تكوين ٣: ١٦)؛ لأن المسيح بارك بداية ولادتنا، ومجدُ المخلِّص أشرق مثل أشعة الشمس، بالإضافة إلى ذلك ثبَّت التلاميذ في الإيمان بواسطة قوة المعجزة (مجلد ١: ١٥٧).

هكذا لخَّص كيرلس بقلمه معجزة قانا الجليل، ووضع الأمور في ترتيب واضح، لكن المهم هو ما يتبع هذا الشرح مباشرةً:

«إن الشرح التاريخي للمعجزة يقف هنا، وعلينا الآن أن نرى الجانب الآخر من المعجزة ومعناها الخفي. لقد نزل كلمة الله من السماء لكي يصبح عريس الطبيعة الإنسانية، فأخذها وجعلها له لكي يخطبها ويقودها إليه، فتثمر ثمار الحكمة الروحية، ولذلك توصف الطبيعة الإنسانية بأنها العروس، والمخلِّص بالعريس. وعادةً ما تستخدم الأسفار الإلهية اللغةَ الإنسانيةَ لكي تساعدنا على إدراك الأمور السمائية العالية.

لقد تم الزواج في اليوم الثالث، أي في نهاية الدهور؛ لأن الرقم ثلاثة هو البداية والوسط والنهاية. وهذه الثلاثة هي أبعاد الزمن كله، وينسجم ذلك كله مع ما قاله واحد من الأنبياء: «لقد ضرب، وسيعصبنا. بعد يومين يحيينا وفي اليوم الثالث يقيمنا لنحيا قدامه» (هوشع ٦: ١ – ٣). لقد ضُربنا وجُرحنا بمعصية آدم وقيل لنا: «ترابٌ أنت والى التراب تعود» (تكوين ٣: ١٩)، ولكن الذي ضُرِبَ بالفساد وبالموت، عصَّبه وربطه (خطبه المسيح) في اليوم الثالث، أي ليس في الأول ولا في الوسط، بل في نهاية الدهور، عندما تجسَّد، وجدد طبيعتنا كلها وأقامها من الموت فيه. وهذا ما جعله يسمى «باكورة الراقدين» (١كورنثوس ١٥: ٢٠).

وعندما قال الإنجيل إنَّ الزواج تم في اليوم الثالث، فقد كان يعني نهاية الدهور. بل أنه يذكر المكان أيضاً «قانا الجليل». والذين يرغبون في مزيد من المعرفة يجدون ما

هو أكثر: لم يكن الزواج في أورشليم، ولا في اليهودية تمت الوليمة، وإنما في الجليل إقليم الأمم كما يقول أشعياء «جليل الأمم» (أش ٩: ١). وهذا واضح؛ لأن مجمع اليهود رفض العريس الذي جاء من السموات، أمَّا كنيسة الأمم، فقد قبلته بفرح شديد.

لقد جاء المخلص بدعوة سرية اختفت خلف أصوات الأنبياء القديسين، ولم يكن الخمر كافياً بالنسبة للمدعوين، وهذا إشارة إلى أن الناموس لم يكمِّل أحداً، والناموس الموسوي المكتوب لم يكن قادراً على أنْ يمنح السعادة. وحتى الذين جاهدوا لكي يحفظوه بكل دقة لم يستطيعوا أن ينالوا به الخلاص، وكان حقاً ما قيل «ليس لديهم خمر»، ولكن الإله المحسن لا يتغاضى عن احتياج طبيعتنا التي افتقرت جداً للصلاح، ولذلك أرسل خمراً أفضل من الخمر الأول؛ لأن الحرف يقتل والروح يحيي (٢كورنثوس ٣: ٦).

والناموس ليس لديه كمال، أمَّا التعاليم الإلهية في الإنجيل فهي تعطي البركة الكاملة. إن رئيس المتكأ تعجَّب من جودة الخمر. كذلك كل الذين يُرسَمون للكهنوت المقدس، ويقامون لرعاية بيت المخلص المسيح، يندهشون من تعاليم المسيح التي هي فوق الناموس، ولكن المسيح أمر أن يعطى الخمر الجديد لرئيس المتكأ أولاً؛ لأنه حسب شهادة بولس «الزارع الذي يتعب يجب أن يكون أول من ينال من ثماره» (راجع ٢ تيموثاوس ٢: ٦)». (المرجع السابق – شرح يو ٢: ٧ – ١١).

يمكننا أن نؤكد على تكامل هذا الشرح، فهو من ناحية يؤكد على أهمية

الخليقة الجديدة، ومن ناحية أخرى يؤكد على أنَّ المسيح جاء لكي يخطب الجنس البشري ويعطي الوصية الإلهية حسب الروح وليس حسب الحرف.
لقد كانت القيامة نقطةَ تحوُّلٍ في علاقة الإنسان بالله، ونقطةَ تحوُّلٍ في علاقة الإنسان بالعهد القديم؛ لأن الرباطات والوصايا في العهد القديم خاصة بالخليقة الساقطة، أمَّا في العهد الجديد، فالخليقة الجديدة التي لها رأسٌ جديد هو آدم الثاني هي حقاً وبكل يقين مرتبطة بوصية الحياة المقدسة.
يعلِّق القديس كيرلس على يوحنا ١٦: ٣٣ ويقول:

«هذه الكلمات تعني أن المسيح أقوى من الخطية، ومنتصرٌ على الموت، وفي المسيح قهرنا الفساد والموت. ولأنه إنسانٌ مثلنا – ولأجلنا صار هذا – قام المسيح لكي يجعل قيامته تشملنا، وبداية الانتصار على الموت، وهو ما سيحدث لنا؛ لأن الذي قهر الموت هو واحدٌ منَّا ... لقد مات الموت أولاً في المسيح، وفيه نحن قهرنا الموت. لذلك هو البدء والباب والطريق لكل الجنس البشري والذين سقطوا واستُعبدوا الآن يغلبون ... ولو كان قد غَلَبَ كإله، فإننا لن نستفد شيئاً، ولكن كإنسان، نصبح نحن غالبين أيضاً؛ لأنه هو بالنسبة لنا آدم الثاني الذي جاء من السماء ...» (مجلد ٢: ٦٥٧).

''هذا التجديد هو التبرير وهو أيضاً إعادة خلق الإنسان. لقد جاء الابن من السماء لكي يبرِّر بالإيمان الفاجرين، وكإله كان يعيد خلق الطبيعة الإنسانية من جديد إلى حياة عدم الفساد، ويعيدها من جديد إلى ما كانت عليه في البدء. لأنه في المسيح صار الكل خليقةً جديدةً، ولذلك صار لنا أصلاً جديداً عندما صار الابن آدم الثاني» (شرح رومية ٥: ١١ – مجلد ٣: ١٨٣).

إن لُب الموضوع كله هو الطبيعة الجديدة التي جدَّدها المسيح وأعطاها حياة عدم الفساد، وصارت متأصِّلةً فيه، ليس كما تأصَّلت في آدم الأول، بل بشكل فائق. و «الأصل» أو «الجذر» هو أحد الكلمات الأساسية التي يشرح بها كيرلس الإصحاح الخامس من رومية.

«لقد صار الباكورة لأجلنا لكي ما يصبح الأصل العديم الموت للخليقة الجديدة التي تتفرع وتزهر من الأبدي أي المسيح» (نفس المرجع السابق ص ١٨٣).

هذا يجعلنا ندرك أننا لا نستطيع أن نضع تشريعات العهد القديم مع التدبير الإلهي، فكلاهما خاص بفترة مختلفة، ولا يمكن أن ينطبق عليهما ناموسٌ واحدٌ، هو الناموس الموسوي ولكي ندرك هذا علينا أن نلقي نظرة على بعض النصوص الخاصة بوالدة الإله عند المدافع الأول عن لقب الثيئوتوكوس Θεοτοκος.

والدة الإله والمرأة:

لم يكن التجسد عبثاً، ولا حادثاً خاصاً بفردٍ واحد هو يسوع، وإنما كان تحولاً في الطبيعة الإنسانية، ولذلك السبب أخذ كيرلس السكندري – كمدافع عن اتحاد اللاهوت بالناسوت في أحشاء العذراء – موضوعين أساسيين:

١– اللعنة التي لحقت بالمرأة.

٢– تقديس المرأة.

اللعنة التي لحقت بالمرأة:

ما هي هذه اللعنة التي ذكرها سفر التكوين (٣: ١٦)؟ يشرحها كيرلس بأنها الأحزان الخاصة بالولادة وبكل دقة يقول:

«قبل مجيء المسيح كانت المرأة تحبل وتلد الأطفال للموت، فكانت

الحياةُ باباً يؤدي إلى الموت» (تفسير لوقا ٢٤: ٩ مجلد ٧٢: ٩٤١). هذه هي اللعنة التي حلَّت بالمرأة، فهي التي تلد وليس الرجل، وهي التي ترى ثمرة حبلها في قبضة الموت. وهنا يأخذ كيرلس التجسُّد بكل جدية: لقد تجسد الله الكلمة «لكي يبيد اللعنة التي حلَّت بالمرأة الأولى» (تفسير متى ٢٨: ٩ – مجلد ٧٢: ٦٤٩)، ولكن كيف رفع التجسُّد اللعنة؟ يقول كيرلس: إنها أمومة العذراء للجنس البشري «لقد ولدت امرأة عمانوئيل بالجسد الذي هو الحياة، وبذلك انقضت قوة اللعنة عندما وضع نهاية للموت، وأزال الحزن الذي كان قد أثقل الأمهات» (تفسير لوقا عظة ٢: مجلد ٧٢: ٤٨٦).

اللعنة هي الحزن والحزن مصدره الموت، وليس إفرازات الجسد.

ويعلق كيرلس على ظهور الرب للنسوة بعد القيامة لا سيما كلمة «χαιρετε – سلام» إنها صادرة من نفس الإله الذي أصدر الحكم باللعنة، وهي كلمة تعني «للنسوة جميعاً الخلاص من اللوم ونهاية اللعنة» (تفسير لوقا ٢٤: ٩ مجلد ٧٢: ٩٤١).

وعندما يصف كيرلس عمل المسيح يؤكد أنه جاء لكي يشفي المرض ويخلِّص الإنسان من اللوم القديم، وهذا ما جعل من الضروري أن تنال النسوة نعمة الكرازة بالقيامة قبل الآخرين؛ لأن المرأة الأولى في القديم أغوت آدم لكي يعصى معها، وبذلك أضافت إلى إغراء الحية إغراءً جديداً، وصارت المرأة نفسها مصدراً للموت. ألم يكن من الضروري أن يُرفع الذنب الذي أحاط المرأة عندما تلتقي بالمسيح القائم وتنال نعمة الكرازة للرسل؟ لأنه حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً (رومية ٥: ٢٠). لقد أُعطيت البشارة بإنجيل الخلاص للنسوة وهنَّ كنَّ خادمات الموت. لقد قال المسيح: «سلام»، وهي عبارة ضرورية صادرة من الذي أصدر حكم اللعنة في البدء ... وهكذا افتدت النسوة ما حدث في القديم وما كان مريضاً نال الشفاء (تفسير أشعياء ٣: ١ مجلد ٧٠: ٦٠٨)، ويكرر كيرلس نفس التفسير في شرحه لإنجيل يوحنا ٢٠ : ١٧.

تقديس المرأة:

يعلق القديس كيرلس على لاويين ٦: ٢٧ ويقول:

«هل حدد الناموس رفض المرأة في البركة؟ إن جنس النساء يتقدس معنا، والحق هو أن كل ما جاء في الناموس كان رموزاً وظلالاً ... في المسيح يسوع ليس ذكر ولا أنثى (غلاطية ٣: ٢٨)» (تفسير سفر اللاويين ١: مجلد ٦٩: ٥٥٣).

ويعلِّق على حديث الرب مع السامرية قائلاً:

«ليس للرجال فقط وهب الحياة بالإيمان. بل مثل صياد يمسك أيضاً النساء في شبكته. ويا ليت حديث الرب مع السامرية يصبح نموذجاً للمعلِّمين في الكنيسة فلا يرفضوا خدمة النساء؛ لأنه على الإنسان أن لا يخدم وفقاً لرغباته، بل من أجل بشارة الإنجيل» (تفسير يوحنا ٢: ٥ — مجلد ١: ٢٨٧).

إن كيرلس ليس أفلاطونياً، ولذلك – في دروب الإنجيل – يقود الفكر المسيحي نحو حرية مجد أولاد الله، ولا يقبل مطلقاً الكلام عن الدنس أو النجاسة أو العودة إلى الناموس الموسوي تحت تأثير الأفلاطونية.

المانوية:

لا يمكن أن نترك مجال القوى التي تحرِّك الجدل دون أن نمسك ولو بطرف المانوية، وهي المدرسة التي أسسها ماني. ومع أننا أمام خضمّ ضخم من النصوص عند الآباء وفي تاريخ الكنيسة إلَّا أننا لا نستطيع أن نبقَى بعيداً عن الآثار التي تركها ماني في اللاهوت المسيحي نفسه. صحيح أن الآباء جميعاً رفضوا فكرة الثنائية بين الخير والشر، وقاوموا الاعتقاد بأن للخير إله وللشر إله آخر، وصحيحٌ أيضاً أن المسيحية ديانة توحيد ولا تستطيع أن تقبل بإلهين.

كما أن القوانين التي تحتم أكل اللحوم وإكرام الزواج معروفة لنا ولا تحتاج إلى دراسة، لكن المانوية لم تكن مجرد ثنائية فقط، وإنما كانت ترفض الزواج؛ لأن جسد الشر أي الجسد البشري لا يمكن أن يلحق بالإنسان إلَّا عن طريق الزواج، وبشكل خاص المعاشرات الزوجية، فهي الوسيلة الوحيدة التي تنقل الفساد والموت.

نحن هنا أمام المصدر الأول في تاريخ العقيدة الدينية الذي حدَّد الوراثة كوسيلة انتقال للذنب وللشر نفسه، فلم يظهر هذا الرأي قبل ماني وبكل أسف أنه انتقل من ماني إلى كتابات (القديس) أوغسطينوس مؤسِّس اللاهوت الغربي، وفي الشرق تأثر به ديديموس الضرير، واقترب منه أوريجينوس، ولكن تمسُّكه الدقيق بالأفلاطونية جعله لا يتخذ خطوةً ايجابيةً مثل ديديموس الذي جمع الأفلاطونية والمانوية معاً.

لا توجد إشارة واحدة في الكتاب المقدس تعلِّم بانتقال الخطية، وليس صحيحاً أن وراثة الخطية كانت تعليماً معروفاً في الشرق كما هو معروف في الغرب. وليس صحيحاً أن تعبير «الخطية الأصلية» و «الذنب الأصلي» تعبير معروف في كتابات الآباء الشرقيين، وإنما الصحيح أن الفرق بين الآباء جميعاً وأغسطينوس – بشكل خاص – ينحصر في النقاط التالية:

أ– يعلِّم الآباء أن الخطية الأولى أو القديمة جعلت الطبيعة الإنسانية بلا شركة مع الله، ويظهر هذا بشكل واضح في كتاب تجسُّد الكلمة لأثناسيوس (ف ٥ — ف ٨)، وعند كل الآباء لا سيما كيرلس السكندري، بينما يعلم أوغسطينوس بأن الخطية جرثومة تنتقل بالوراثة.

ب– نحن ورثنا الفساد الآدمي، ووُلِدنا من مصدر ميت وهو آدم، أمَّا أوغسطينوس فيعلم بأننا ورثنا ذات ذنب آدم ووُلِدنا ونحن ملوثين بذات الذنب.

ج– في إطار الفهم الشرقي لا يحمل الزواج مسئولية انتقال الخطية، ولكن في إطار الفهم الأوغسطيني يحمل الزواج مسئولية مباشرة لأنه هو

الوسيلة الحقيقية لانتشار الخطية.

وعندما تتحصن المانوية بالأوغسطينية، فإن أبسط نصوص الكتاب المقدس التي تصف الزواج بالكرامة وعدم الدنس لا تعطي لدى أتباع ماني وأوغسطينوس أي فكرة عن قداسة الزيجة.

الإسلام:

جاء الإسلام مؤكداً تشريعات اللاويين والتثنية الخاصة بالاغتسالات والتطهيرات بعد الولادة والعادة الشهرية التي تمنع من الصوم والصلاة، كذلك أيضاً حتَّم ضرورة الاغتسال بعد العلاقة الزوجية ... كل هذا كان كفيلاً بأن يبعث العادات اليهودية القديمة في الكنيسة الشرقية، وأن يهيئ الكنيسة للعودة للروح اليهودية، وإنْ كانت هذه التهيئة كما سنرى ليست مسئولية الإسلام بقدر ما هي مسئولية الأباطرة الذين وحَّدوا القوانين الرومانية، واستعانوا بالعهد القديم لإكمال التشريعات المدنية، فدخلت – كما سنرى – النصوص الخاصة بتطهير المرأة.

وكأننا في الفترة من أفلاطون مروراً بالمانوية والتهوُّد واليهودية نفسها، ثم الإسلام نكون على يقين من أن الأفكار التي تقاوم إنجيل المسيح هي في تدفق دائم عبر التاريخ.

خلاصة القول هي إنَّ الكنيسةَ معرضةٌ أثناء مسيرتها التاريخية الطويلة إلى أن تواجه تيارات مضادة، وإلى أن تصطدم بتيارات مختلفة، وعليها أن تكون على وعي بعقيدتها.

إنَّ الفرق بين القديس كيرلس السكندري، وماني وأغسطينوس والذين تأثروا بالأفلاطونية هو فرقٌ ضخم جداً. فبينما يعتمد كيرلس على العقيدة المسيحية في إدراك علاقة الإنسان بناموس موسى وعلاقة الإنسان بالله في المسيح، يقع غيره ضحايا لأي فكرة بطريقة تتفق مع مشاعر الذنب والدنس التي يُسقطها علينا المجتمع أو تنمو فينا بسبب الخبرات السيئة.

الفصل السابع

القاعدة الخاصة بالولادة

لا نجد إشارةً واحدةً عند الآباء الذين شرحوا سفر اللاويين إلى التزام الكنيسة المسيحية باعتبار الأم نجسة لمدة ٤٠ يوماً في حالة ولادة طفل ذكر، و٨٠ يوماً في حالة ولادة أنثى. فليس لدى الآباء جميعاً نصاً واحداً يؤكد أن الكنيسة أخذت بهذه الممارسة. كما أنَّ المخطوطات الخاصة بسر المعمودية تخلو من أية إشارات إلى هذه القاعدة حتى القرن العاشر الميلادي.

فكيف ظهرت هذه الممارسة في طقوس الكنيسة الشرقية؟

أولاً: الوضع قبل ظهور المسيحية:

باستثناء نصوص اللاويين يمكننا أنْ نقول إنَّ وراء فكرة الـــ ٤٠ يوماً و الـــ ٨٠ يوماً قاعدة طبية قديمة عرفها الأطباء اليونان منذ زمن هيبوقراط[٢٣] وحجة هؤلاء أن الجنين الذكر ينضج في ٤٠ يوماً ويكتمل، بينما الجنين الأنثى ضعيف ويحتاج إلى ضعف المدة.

ولعل الكتاب القيِّم عن تاريخ علم الأجنة في العالم الذي وضعه العالم الانجليزي جوزيف نيدم[٢٤] *J. Needham* يكفي للدلالة على ذيوع هذه الفكرة في العالم القديم حتى أن أرسطو رفع مدة اكتمال الأنثى إلى ٩٠ يوماً[٢٥].

(23) J.H.Waszink "Tertulliani De Anima" 1947 – p,422.

(24) A History of Embryology. 1934. p,11,p,54-55

(25) Historia Animallium, 7,3.

وبالطبع، ساد الاعتقاد في العالم القديم بضرورة بقاء الأم بعيداً عن الحياة الاجتماعية، ولكن اختلفت المدة من عصر إلى عصر، ومن ديانة إلى أخرى.

بالنسبة إلى فيلون اليهودي السكندري في شرحه لسفر التكوين يقول: «لأن تكوين الذكر أكمل من تكوين الأنثى تحتاج الأنثى إلى ضعف الوقت ...»[٢٦] ويؤكد التلمود البابلي هذه الحقيقة[٢٧].

وبالتالي يكون من الواضح أن المرأة تحتاج لضعف الوقت لكي تتطهر من ولادة الأنثى؛ والسبب كما نرى هو ضعف تكوين الأنثى. ولكن ما هو جدير بالذكر أن كل ما لدينا من نصوص يهودية أو وثنية لا يشير إطلاقاً إلى قصة السقوط أو علاقة غواية حواء بفترة التطهير المضاعفة في حالة ولادة الأنثى.

فهذا الرأي لا تعرفه اليهودية، ولا الديانة المصرية، أو الكنعانية. وإن كان هذا الرأي قد ساد في العصور الوسطى فقط، ودخل كتب التفاسير المسيحية دون تمييز.

ثانياً: المسيحية في الألف سنة الأولى:

من المؤكد أنه لا توجد لدينا في الـــ ٥٠٠ سنة الأولى إشارة واحدة تشير إلى علاقة الأم بالجنين، أو إلى فترة تطهير، لا في التشريعات القانونية للمجامع المسكونية، ولا في قوانين الآباء الرسل، أو التقليد الرسولي. وإن كان أوضح وصف للمعمودية في الكنيسة الأولى هي عظات القديس كيرلس الأورشليمي، فهي – بدورها – لا تتكلم عن فترة تطهير للأم على وجه الإطلاق.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن عيد الفصح كان هو مناسبة التعميد في الكنيسة الأولى، وأنه من المستحيل أن تلد كل النساء قبل العيد بـــ ٤٠ يوماً أو ٨٠ يوماً، فإننا نستطيع أن نؤكد أنَّ هذه القاعدة لم تكن معروفة في زمان الآباء، ليس بسبب تحديد موعد المعمودية فقط، بل لأنها لم تكن معروفة في القوانين الكنسية على وجه الإطلاق.

(26) Questiones et Solutiones in Genesin,1,25,LCL,Supp 1, p, 15.

(27) J.W.Slotki, The Babylonian Talmud,Seder Tohoroth, 1948, p.207.

كما أن دراسة مخطوطات كتاب التعميد الذي يحتوي على الصلوات الخاصة بخدمة المعمودية تكشف عن أن القسم الخاص بالصلاة على أم الطفل بعد ٤٠ يوماً أو ٨٠ يوماً من الولادة والتي تسبق خدمة التعميد في الكتب المطبوعة لم تكن معروفةً على وجه الإطلاق في الألف سنة الأولى، كما أن كل المخطوطات الخاصة بالكنيسة القبطية لا تعرف هذه الصلوات حتى القرن الثالث عشر. كذلك الأمر بالنسبة إلى الكنيسة السريانية، فإن صلوات خدمة المعمودية كما جاءت في طقس تيموثاوس السكندري أو غيره لا تعرف أيضاً هذا الجزء الموجود حالياً في كتاب التعميد.

فما الذي حدث؟ وكيف نشأت هذه الممارسة؟

إن الرد يأتي من كتاب العلامة القس أبو البركات ابن كبر «مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة»، ففي الفصل الرابع من الجزء المعروف باسم «قوانين الملوك»، وهو الاسم العربي لمجموعة القوانين الرومانية، يقول إن هذه القوانين أُخذت من العتيقة أي العهد القديم. وواضح من التسمية أن هذه القوانين هي القواعد التي كانت تنظم العلاقات المدنية بين العبيد والسادة. ثم يأتي القانون ١٨ ليتكلم عن «تطهير المرأة من دم النفاس الخاص بالذكر والأنثى»[٢٨] ... ويسجل أبو البركات أيضاً أنَّ الكتاب الرابع من قوانين الملوك قد كُتب في المجمع المسكوني الأول، وأن الكتاب الأول من قوانين الملوك عدته ٢٩ قانوناً. ويتكلم القانون العاشر عن «حدود التطهير من دم الحيض ودم الولادة»[٢٩].

وهكذا حدد لنا أبو البركات المصدر القانوني الذي اعتمد عليه الذين جاءوا بعد القرن الخامس.

وهذا المصدر وحده، أي قوانين الملوك هو الذي كان وراء القانون ٣٨ من قوانين أبوليدس، والمنسوب زوراً إلى أبوليدس، والذي يقول: «إنَّ المولود

(٢٨) مصباح الظلمة – طبعة القاهرة ١٩٧١م، ص ١٥٠.

(٢٩) المرجع السابق ص: ١٤٧.

إذا خيف عليه من الموت قبل طُهر أمه من دم نفاسها، فليدخل إلى الكنيسة مع غيرها ويُعَمَّد؛ لأن المرأة التي تلد ذكراً تبقى بعيدةً عن الموضع المقدس ٤٠ يوماً أو ٨٠ يوماً إذا ولدت أنثى».

وهذا القانون نفسه كان ابن العسال قد دسَّه في كتابه المجموع الصفوي (الباب الثالث)، وعنه أخذ كل الذين كتبوا في العصر الحديث، رغماً عن أن هذا القانون غير موجود في كل المخطوطات القبطية والعربية واللاتينية لقوانين أبوليدس.

لكن يبقى سؤال: كيف ومتى دخلت تشريعات الملوك ضمن مجموعة القوانين الشرقية؟ والجواب واضح، فقد كانت البداية في المجمع المعروف باسم «مجمع ترولو»، أي مجمع القبة الذي عُقد في سنة ٦٩٢م فهو وحده المسئول عن دخول كل هذه التشريعات في الكنيسة البيزنطية؛ لأن هذا المجمع لا تعترف به الكنائس غير الخلقدونية. وبالتالي عندما بدأت حركة التعريب في القرن العاشر واستعان الأقباط بمدونات القانون الكنسي عند السريان والنساطرة والبيزنطيين، دخلت هذه القوانين الكنيسة القبطية ابتداء من القرن العاشر، وهذا هو السبب الوحيد في أن مثل هذه التشريعات لا وجود لها في النصوص القبطية، بل تكثر في النصوص القانونية العربية فقط.

مجمع ترولو ٦٩٢م:

أهمية هذا المجمع تفوق الحد، فهو أول مجمع قام بمراجعة القوانين الكنسية التي صدرت في الكنيسة ابتداءً من قوانين الرسل حتى قوانين المجمع المسكوني السادس (حسب التسمية الغربية). وقيمة مجمع ترولو تظهر في أنه أعاد تحديد القواعد القانونية القديمة، وحاول توحيد الممارسات الكنسية حتى في الأماكن التي رسخت فيها ممارسات قديمة مثل تناول الإفخارستيا بعد وليمة الأغابي في شمال إفريقيا (هذه صارت من الممنوعات – راجع قانون ٢٩). كما منع أطعمة حيوانية معينة كانت تؤكل في بعض المناطق في الصوم الكبير، و لم يكن

قد صدر بشأنها قانون في الكنيسة في القرون الخمسة الماضية.

فقد كانت روح التشريع تتجه إلى التشدد، وإلى اعتبار أن الممارسات الكنسية هي قوانين، كل مَن يخرج عليها يعتبر مقطوعاً من شركة الكنيسة.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما جاء في مقدمة أعمال المجمع، وهو اعتبار أن رسائل الآباء الأساقفة هي بمثابة قوانين، رغم أنه لا يوجد لدينا أية إشارة – ولو ضمنية — تشير إلى أن هؤلاء الآباء الذين كتبوا هذه الرسائل كانوا يعتبرون هذه الرسائل بمثابة قوانين في الكنيسة، ولكن روح ترولو هي التي صاغت هذه الرسائل كقوانين.

في هذا المجال نشير – بشكل خاص – إلى ما يعرف باسم رسالة ديونيسيوس السكندري إلى باسيليوس. والفرق بين الرسالة نفسها وبين الصياغة التي صارت تعرف باسم قوانين ديونيسيوس هو فرق بين وجهة نظر وبين قانون كنسي، ولذلك لا نجد في كتب القوانين في الشرق أية إشارة إلى رسالة ديونيسيوس، لكن كل الإشارات تشير فقط إلى قوانين ديونيسيوس، بالرغم من أنه هو نفسه في الأصل لم يضع أي قانون. وعلينا أن نقارن بين نص الرسالة وبين ما شاع في جوامع القوانين منذ أيام بلسامون وغيره. وهذه المقارنة من الأهمية بمكان؛ لأنها لا تطرح علينا فقط قضية الفرق بين الرأي والقانون، بل أيضاً تطرح علينا الفرق بين طريقة الصياغة في الرسالة والصياغة المختلفة في القوانين.

هكذا يكتب دينيسيوس السكندري:

> «بخصوص السؤال عن المرأة في زمان اعتزالها، هل من اللائق وهن في هذه الحالة أن يدخلن بيت الله؟ أنا أعتقد أنه موضوع لا يستحق عناء البحث؛ لأنني اعتقد أنهن إذا كُنَّ من المؤمنات، ونسوة تقيات لَكُنَّ متهورات، إذ وهُنَّ في هذه الحالة، يسرعن إلى لمس المائدة المقدسة أو جسد ودم الرب. ويقيناً إن المرأة التي كان لديها ينبوع

الدم اثنتي عشر سنة لم تلمس الرب نفسه، بل طرف ثوبه فقط لكي تنال الشفاء. وأما الصلاة، فهي تتم في أي حالة يجد المرء نفسه فيها؛ لأننا نتذكر الرب في أي وقت، وأيضاً يُقدِّم التضرعات لكي ينال المرء معونةً.

كل هذه الممارسات يمكن أن تتم بلا لوم، أمَّا الذي ليس طاهر النفس والجسد، فإنه يُمنع من التقدم إلى قدس الأقداس. وبالإضافة إلى ما ذكرناه، الذين وصلوا إلى ضبط النفس وتقدَّموا في السن يمكنهم أن يكونوا قضاةً لأنفسهم في هذه المسائل. إنه يليق الامتناع عن العلاقة الزوجية بموافقة الطرف الآخر لكي تكون فرصة للصلاة، على أن يجتمعا بعد ذلك حسبما يسمعا من رسالة بولس في رسالته (١كورنثوس ٧: ٥).

أمَّا الذين حدث لهم فيض ليلي بدون إرادة، فعليهم أن يستمعوا لصوت ضمائرهم، وأن يمتحنوا أنفسهم إذا كانت لديهم شكوك حول هذا الأمر، أم لا توجد لديهم شكوك؛ لأن الذي يشك في مسألة أكل اللحوم المقدَّمة للأوثان يقول الرسول إنه يحكم على نفسه إذا أكل (رو ١٤: ٢٣).

وإذا كانت هذه هي القاعدة، فالذين يقتربون من الله يجب أن يكون لديهم ضمير صالح وثقة كاملة في حكم ضمائرهم».

ولم يكتف ديونيسيوس بذلك، وإنما ختم رسالته بقوله:

”من ناحيتي قد أعلنت رأيي علناً ليس كمعلم، وإنما كمن يليق به أن يجاهر بهذه الأمور بكل وضوح لكي نتشاور بعضنا مع بعض، وبعد أن تفحص رأيي يا ابني الحكيم،

عليك أن تكتب عن رأيك في المسائل التي كتبت لك
عنها، وعليَّ أن أعرف ما إذا كنت ترى أن ما كتبته مقبولٌ
وعادلٌ، وأنك تلتقي معي حول تقديري لهذه المسائل».

والنظرة المتعجلة قد تعطينا الانطباع بأن ديونيسيوس يأمر بأن لا تقترب النساء من جسد الرب ودمه أثناء فترة الاعتزال، ولكن الرسالة تؤكد أنه ترك الموضوع لحكم الضمير؛ لأن القاعدة الأساسية هي طهارة النفس والجسد. وطهارة النفس والجسد لا علاقة لها بالعادة الشهرية. بل أنه لا يضع قاعدة حول الامتناع عن العلاقة الزوجية قبل التناول، ولكنه اكتفى بأن يكرر قول الرسول بولس، وهي نصيحة رسولية تؤكد الحرص على الحياة الروحية، وليس قانوناً أو شريعةً. ولا يمكن أن يميِّز ديونيسيوس بين الاحتلام والعادة الشهرية عند المرأة، فهو يؤكد في النهاية أن القاعدة العامة هي أن كل من يري أنه تدنَّس، عليه الامتناع. والقياس هنا على القاعدة الرسولية الخاصة بما ذبح للأوثان؛ لأن مَن يؤمن بأن اللحوم المقدَّمة للأوثان هي فعلاً دنسة، ويأكل فقد تدنَّس. «كل شيء لا يصدر عن الإيمان فهو خطية» (رومية ١: ٢٣)، هذه قاعدة أساسية جداً لأنها تؤكد أن الإنسان إنما يقرر دنسه ونجاسته وفق ما يراه في نفسه.

ولعل الأهم من كل هذا هو أن ديونيسيوس لا يشير إلى قواعد أو قوانين صدرت من قبل في هذا الموضوع، وهو لا يستخدم العهد القديم مطلقاً، وهذا بدوره يؤكد أن الموضوع بدأ يُطرح للنقاش.

ولكن يلزمنا أن نقف عند عبارة «زمان اعتزال المرأة».

من الواضح أن القوانين الرسولية (قانون ٩ قبطي — ١٠ يوناني) جعل عدم حضور الكنيسة والامتناع عن التناول أمراً مستوجباً للفرز. وهو القانون الذي أُعيدت صياغته بعد ذلك في مجمع توليدو الذي عقد سنة ٤٠٠م (راجع الموسوعة الخاصة بقوانين الكنيسة *Hefele* الترجمة الانجليزية مجلد٢: ٤٢٠)، وهو المجمع الذي ثبَّتت فيه الكنيسة هذه القاعدة القديمة. ومن المعروف أن

اجتماع المؤمنين حول مائدة الرب هو فعلاً وحقاً الاجتماع الرسمي للكنيسة في يوم الأحد، وهو ما يحرص عليه الكل؛ لأن الابتعاد عن هذا الاجتماع معناه خطير جداً، وهو الانشقاق. هذا واضح في أقدم الوثائق المسيحية، وهي رسائل أغناطيوس الإنطاكي. وبلغ من حرص الكنيسة على حضور المؤمنين أنها كانت ترسل الإفخارستيا لمن لا يملك الحضور حسب شهادة الشهيد يوستينوس. فإذا كانت المرأة لا تملك في ظروف الحيض أن تحضر الكنيسة، وأن تنقطع، فإن هذا الانقطاع يعني بشكل واضح الانفصال عن شركة الكنيسة، ولكن الكنيسة لم تكن ترَ الموضوع على هذا النحو؛ لأن المرأة تنعزل ليس بسبب طهارة الجسد أو النفس، وإنما بسبب ظروفها الصحية، وهي عزلة وليست انشقاقاً لكي تعود وتتحد بالكنيسة.

الكنيسة واحدة في الإفخارستيا، ولذلك الذي يغيب عن اجتماع الكنيسة ليس في هذه الوحدة، ومع ذلك فإن الغياب ضروري بالنسبة للذين لا تمكنهم ظروف الحياة الاشتراك مع المؤمنين في الذبيحة.

في هذا الإطار يمكننا أن نرى إن الظروف الصحية للمرأة هي العامل الأساسي وراء كلمات رسالة ديونيسيوس، وهي تعني عدم التهور والإسراع بالذهاب إلى الكنيسة ولمس المذبح أو المائدة، وهو ما كان مباحاً حتى القرن الخامس.

وطبعاً، فإن هذه النظرة المتسعة عند ديونيسيوس لا نجدها بعد ذلك فيما يعرف بالإجابات القانونية لتيموثاوس السكندري، وهي إجابات غير معروفة في جوامع القوانين القديمة، ولا تظهر في المجموع الصفوي لابن العسال، أو في أقدم جامع للقوانين، وهو «فقه النصرانية لأبي الفرج ابن الطيب».

ومع ذلك يمكننا أن نقول إن عدم سماح البطريرك تيموثاوس السكندري للنساء بالمناولة هو قاعدة جديدة في الشرع الكنسي القديم، بل هي ضد روح الإنجيل والدسقولية. وكما هو معروف، كلما أوغلنا في التاريخ الكنسي، كلما لاحظنا صرامة القوانين وكثرة التحريمات والعقوبات، ربما لأن الكنيسة ظنت في تلك الأزمنة أن العقوبة ترد الإنسان إلى الله، وهي نظرة تحتاج إلى مراجعة.

نظرة معاصرة:

لم يُطرح موضوع التطهيرات الجسدية في العصر الحديث إلَّا في عدة مقالات متفرقة ظهرت في مصر وحدها ابتداءً من مقالة ظهرت في مجلة مدارس الأحد (مايو ١٩٥٢م)، وكاتب هذه المقالة لم يتوقف عن إعادة التذكير بهذا الموضوع في عدة مقالات متفرقة ظهرت في جريدة وطني ١٩٧٩م، ولا تختلف هذه المقالات عن المقالة التي صدرت في عام ١٩٥٢م بعنوان ''متى لا تذهب المرأة إلى الكنيسة'' (مجلة مدارس الأحد – مايو ١٩٥٢ ص ١٨ – ٢٥).

والدفاع الوارد في هذه المقالات عن هذا الموضوع يدور حول اقتباس القانون المزوَّر في قوانين ابوليدس (ق ٣٨)، والذي أشرنا إليه قبلاً، اعتماداً على القراءة القديمة التي استقرت في الشرق منذ زمن بلسامون: «على الكاهن أن يمنع من دخول الكنيسة المرأة الواجب عليها أن تطهُر»، وهو نصٌ غير معروف في كل الوثائق القديمة. ويضيف الكاتب الاقتباس المعروف في كتاب «الطب الروحاني»، وهو أسلوب يعكس التأثر بالفقه الإسلامي: «وأمَّا الشريعة الحديثة، فإن الآباء يقولون في المحارم: ولله على جميع النساء والمؤمنات النصرانيات الامتناع عن دخول الكنيسة وهُنَّ حائضات، وعليهن الامتناع عن أخذ القربان وهُنَّ في علة الطمث حتى تنقضي عدة أيامهن».

وهذا في الواقع يستند إلى تشريع مجمعي للبطريرك كيرلس الثالث يردد ذات القول. (راجع سلسلة تاريخ البطاركة – دير السريان ص ٩٦).

ويضيف الكاتب إن مبررات الحكم بالنجاسة في العهد القديم هي أن فعل الزواج قد أثَّمه الأبوان ببواعث الشهوة، وبه أيضاً انتقلت حال الخطية؛ لأن الوراثة تتم بفعل الزواج، ولهذا يقول داود النبي: «بالآثام حُبل بي، وبالخطية اشتهتني أمي»، ولهذا نظرت شريعة العهد القديم إلى كل ما يتصل بالتناسل، باعتباره نجساً، استنكاراً منها لفعل المخالفة (ص ٢٢ من المقالة المذكورة).

وبالطبع، لا تعليق على هذا الكلام سوى بأن العهد القديم لا يتضمن إشارةً واحدةً إلى أنَّ الزواج قد تم ببواعث الشهوة، كما أنَّ العهد القديم

ليس من كتب ماني التي تحدد انتقال الخطية بالوراثة، فمثل هذا التعليم ليس معروفاً في العهد القديم مطلقاً، ومهما كان الوضع في العهد القديم، فإن الزيجة صارت سراً في المسيحية، ولا يمكن أن تقدِّس الكنيسة وسيلة انتقال الخطية من جيل إلى جيل.

ولكي يمكن مصالحة هذا الاتجاه مع العهد الجديد، يقول الكاتب: المسيح قد طهَّرنا وفتح سبيل الفردوس، ... لكن لا زال الرجل يأكل خبزه بعرق جبينه، ولا زالت الأرض تنبت له شوكاً وحسكاً، ولا زالت المرأة بالوجع تلد أولاداً، ولا زال الإنسان يعاني من صنوف الأمراض، ولا زال سيف الموت مسلطاً على رؤوس الناس ... أليس معنى هذا إن بقاء هذه الأحكام إلى اليوم على الرغم من إتمام عمل الفداء أن الله يريدها أنْ تبقى تأكيداً لقوة قضائه وإنذاراً للإنسان ووعيداً له حتى يخشى الخطية؟ ... هكذا بقاء الحكم على المرأة بالابتعاد عن الأماكن المقدسة والأسرار الإلهية لزومه كبقاء التعب والمرض والألم والموت على الرغم من عمل المسيح الفدائي (ص ٢٣ من المقال المشار إليه).

هذا التحليل يكاد يقول بإن المسيح كان يجب عليه أن يقيم حياة عدم الفساد على الأرض، وهو نداءٌ شبيه بضرورة وجود الحكم الألفي لكي يتحقق عمل المسيح الكامل على الأرض، فكل ما يحيط بالإنسان من أمراض وتعب وعرق ووجع الولادة .. الخ هو مثل بقاء الجسد بعد المعمودية، ومثل بقاء كل القوانين الخاصة بحياة الجسد بعد الاتحاد بالمسيح في الإفخارستيا ... أو هو مثل اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، ومع ذلك ناله التعب وأكل وعرق وصرخ من الألم ثم مات.

إنَّ النزعة المعروفة باسم «المونوفيزية»، التي هي ظلال الهرطقة الاوطاخية لا تعترف بأن ما أصاب الجسد يجب أن يبقى حتى القيامة من الموت؛ لأن ما أصاب الجسد لا يحول دون تقديسه، ولا يلغي عمل الله. فالمسيح هو الحياة التي حلَّت في وسط الموت، وسوف يغلب الموت، وها هو يغلب هنا على هذه الأرض.

إن هذه النظرة المعاصرة تفتقر إلى العمق العقيدي المسيحي؛ لأنها تكاد

تطلب كمال فداء الجسد هنا على الأرض، بينما من مصلحة الإنسان أن يموت ويتحلل، لينال جسده حياة عدم الفساد ومجد القيامة.

ولذلك علينا أن لا نعود إلى موسى لمجرد أنَّ المسيح يؤجِّل تجديد الجسد حتى يوم القيامة، فالتأجيل هو تأجيل الموعد فقط، فالجسد أخذ المعمودية والميرون والإفخارستيا ونال بذرة الحياة الجديدة في المسيح، وهي البذرة التي ستنمو بعد الموت حسب التعليم الرسولي (١٠ كورنثوس ١٥: ٣٥ – ٤٤).

كما تفتقر هذه النظرة المعاصرة إلى الإيمان بأن الإنسان يتجدد روحاً وجسداً في الأسرار. وتجديد الروح – لا سيما – في المعمودية وهبة البنوة لا تجعل الإنسان حياً في جسد دنس، وإنما تجعل الإنسان روحاً وجسداً، لله.

كما أننا نعطي المعمودية حتى للذين وُلِدوا من زيجة مسيحية، ليس لأن ذنب آدم انتقل إليهم من الوالدين، وإنما لأن الإنسان يولد عبداً لا ينال روح التبني من الله إلَّا في سر البنوة أي المعمودية والميرون. ونظرة فاحصة على الصلوات الخاصة بخدمة المعمودية تؤكد لنا أن التقليد الشرقي لم يكن يعرف تعليم ماني واوغسطينوس؛ لأن المعمودية والميرون يعيدان للإنسان الروح القدس الذي فقده الإنسان بالسقوط، وغياب الروح القدس هو الفساد الحقيقي الذي أصاب الإنسانية؛ ولأن الروح القدس هبة من الله، فهو لا يمكن أن يناله إنسانٌ من إنسانٍ آخر بالوراثة، بل يناله بالإيمان.

هذا ما يجعلنا في النهاية نقول إن غاية البحث هي العودة إلى حرية قرار الإنسان، وطلب الأسرار كلٍ على قدر استعداده ونضوجه الروحي.

دكتور

جورج حبيب بباوي

بيروت ٢٥ يناير سنة ١٩٨٠

مؤتمر المرأة في اللاهوت الشرقي الكنسي

مجلس كنائس الشرق الأوسط